

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العالي

جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر-

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية.

السند البيداغوجي.

المغرب العربي الحديث

المستوى: السنة الثانية. ل.م.د.

السداسي: الثالث.

التخصص: تاريخ الدولة العثمانية 1453-1924م.

المقياس: تاريخ المغرب العربي الحديث. ما بين القرنين (16-19م)

من إعداد: د. عبو ابراهيم- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر-

الرتبة: أستاذ محاضر "أ".

السنة الجامعية: 2022/2023م.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

نموذج مطابقة

عرض تكوين
ل. م . د

ليسانس أكاديمية

2017-2016

المؤسسة	الكلية/ المعهد	القسم
جامعة مصطفى اسطبولي معسكر	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	العلوم الإنسانية

الميدان	الفرع	التخصص
علوم إنسانية واجتماعية	علوم إنسانية - تاريخ	تاريخ عام

- السداسي الثالث:

التقييم المستمر		الأرصدة	المعامل	الحجم الساعي الأسبوعي				الحجم الساعي للسداسي (15 أسبوعا)	وحدة التعليم
امتحان	مراقبة مستمرة			أعمال أخرى	أعمال تطبيقية	أعمال موجهة	محاضرة		
									وحدات التعليم الأساسية
									و ت أ (إج)
x	x	5	2	00سا45		30سا1	30سا1	00سا45	المادة 1: تاريخ وحضارة المغرب القديم1
x	x	5	2	00سا45		30سا1	30سا1	00سا45	المادة 2: صـدر الإسلام والدولة الأموية
X	x	5	2	00سا45		30سا1	30سا1	00سا45	المادة 3: المغرب العربي الحديث ما بين القرنين (16-19م)
x	x	5	2	00سا45		30سا1	30سا1	00سا45	المادة 4: تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر 1
									وحدات التعليم المنهجية
									و ت م (إج)
x	x	3	2	00سا45		30سا1	30سا1	00سا45	المادة 1: منهجية وتقنية البحث التاريخي 1
x		3	2	00سا45			30سا1	30سا22	المادة 2: فلسفة التاريخ
									وحدات التعليم الاستكشافية
x		1	1	00سا45			30سا1	30سا22	المادة الاختيارية: (اختيار مادتين) المادة 1: تاريخ العلوم
x		1	1	00سا45			30سا1	30سا22	المادة 2: أوربافي العصور الوسطى المادة 3: تاريخ المعتقدات

									والأديان المادة 4:العالم المعاصر
									وحدة التعليم الأفقية
		1							وت أ ف (إج)
X		1	1	00سا45			30سا1	30سا22	المادة 1:جغرافيا طبيعية
	x		1	00سا45		30سا1		30سا22	المادة 2:لغة أجنبية 1
		30	16	450 سا 00		09 سا 00	13 سا 30	337 سا 30	مجموع السداسي 3

السداسي: الثالث

عنوان الوحدة : التعليم الأساسية

المادة: المغرب العربي الحديث ما بين القرنين (16-19م)

أهداف التعليم:

(نكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

يهدف إلى التعرف على حالة المغرب العربي في الفترة الحديثة ومختلف وحالة الحراك الذي ميزته بين حالتي الاستعمار والمقاومة ونشأة الدول الوطنية في المنطقة.

المعارف المسبقة المطلوبة :

(وصف تفصيلي للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر)
الالمام بنهاية الفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة .

محتوى المادة:

1. سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغاربية
2. أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م.

3. المد العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط
4. ظروف إلحاق الدول المغاربية (الجزائر، طرابلس، تونس) بالدولة العثمانية.
5. تطور نظام الحكم في الجزائر خلال الفترة العثمانية
6. تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعديين والعلويين.
7. تطور نظام الحكم في تونس
8. تطور نظام الحكم في طرابلس
9. علاقات الأقطار المغاربية الخارجية (المشرق العربي، إفريقيا، أوربا)
10. الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلدان المغرب الحديث
11. العلاقات المغربية الثقافية

طريقة التقييم:

علامة الأعمال الموجهة 50% + الامتحان. 50++%

المراجع: (كتب ومطبوعات، مواقع/انترنت، إلخ)

- ابن عسكر، أبو عبد الله، دوحة الناشر، تحقيق محمد صبحي، الرباط 1977.
- ابن القاضي، المنتقي المنصور على مآثر الخليفة المنصور، القاهرة، 1970.
- الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق هوداس، مطبعة بردين، باريس 1688ز
- التماروت، علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق محمد الصالحي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت 2007.
- الزباني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، الرباط 1991.
- الزباني، أبو القاسم، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، مشورات وزارة الأوقاف، المغرب 2008.
- الفشتالي، عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالنا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط 1972.
- الناصري، أحمد بن خالد السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف محمد وجعفر، دار الكتاب، دار البيضاء 1955.
- ابن خروف، عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م، دار الأمل، تيزي وزو 2006.
- التازي، عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، طبعة 1988.
- حجي، محمد، الزاوية الدلائلية، دورها الديني والاجتماعي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط 1972.

- ابن أبي الضياف، أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان، الدار التونسية للنشر، د.م.ج. الجزائر 1977.
- حركات، إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار البيضاء 1985.
- روجرز، ب.ج، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، دار البيضاء 1981.
- شحاته، حسن إبراهيم، واقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1578، دار الثقافة، دار البيضاء 1979.
- الشريف، محمد الهادي، تاريخ تونس، سراس للنشر، تونس 1980.

المراجع باللغة الأجنبية

1. BRAUDEL, F., La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris, 1966.
2. TERRASSE, H., Histoire du Maroc, éd. Atlantique, Casablanca 1947.
3. CHERIF (M. H.), Pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn bin Alî (1705-1740), Tunis, P.U.T., 2 vol., 1984-1986.
4. RAYMOND, A., Grandes Villes Arabes à l'époque ottomane, éd. Sindbad, Paris 1985.
5. VALENSI, L., Le Maghreb avant la prise d'Alger 1970-1830, Flammarion, Paris, 1969.

مقدمة:

يمكن تقسيم العصر الموحدى إلى فترتين رئيسيتين: الأولى بدأت منذ نشأتها على يد عبد المومن بن علي أحد أصحاب المهدي بن تومرت مؤسس الدعوة، ثم وصلت إلى أوجها في عهود الخلفاء يوسف بن عبد المومن ثم أبنة يعقوب المنصور (صاحب انتصار الأرك) ثم محمد الناصر بن المنصور الذي حقق الانتصار على أخطر حركة مضادة في إفريقية هي حركة ابن غانية، لكنه أنهزم قبيل وفاته أمام الأسبان في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م لتبدأ بذلك فترة الضعف والاحتضار إلى انتهت الدولة سنة 668/1269م.

كانت هزيمة الموحدين أمام التحالف الأسباني النصراني¹ في معركة العقاب أحد العوامل المهمة في دفع دولتهم نحو الانهيار التدريجي، فقد كان من عواقبها ضعف السلطة المركزية وتلاعب الأسيخ المصامدة-الذين كانوا يشكلون العصبية الأساسية للدولة- بالخلفاء من عبد المومن، ورافق ذلك اضطرابات وحركات تمرد داخل المغرب الأقصى وفي باقي الشمال الإفريقي تمهيدا لظهور إمارتين جديدتين بإفريقيا و المغرب الأوسط هما إمارة الحفصيين، والزانيين، وكذلك في الأندلس حيث ظهرت النزاعات بين "السادة" أي الأمراء الولاة من بني عبد المومن ومنافسهم من بين بعض الزعماء المحليين، مما سهل استئناف حركة "الاسترداد" النصرانية حيث عرفت أكبر نجاح لها خلال القرن السابع خاصة النصف الأول منه، أي في فترة احتضار الدولة الموحدية- رغم محاولات الترميم- والمنازعات بين الزعماء الأندلسيين².

كانت من نتائج هذه الحروب المستمرة أن عمت الفوضى ولم يحل القرن الخامس عشر حتى ظهر واضحا عجز ملوك بني عبد الوادي على فرض سيطرتهم على المغرب الأوسط بأكمله، ولم يتمكنوا من فرض نفوسهم حتى على الناحية الغربية وتلمسان إلا بعسر.

إن لغة التخاطب بين الأخوة الأعداء الحفصيين والزانيين والمرنيين والتهافت على السلطة، دفع أبناء الأسرة الواحدة للاقتتال فيما بينهم في حين أن الخطر الخارجي يترص بهم جميعا تمثل في احتلال المدن الساحلية على النحو التالي:

¹ يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 87.

² يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير، العصور الحديثة.....مرجع سابق، ص 89.

سبته 1415م، تيطوان- القصر الكبير 1458م، طنجة 1471م، وهران 1509، المرسى الكبير 1505، بجاية 1510م
مستغانم 1511م وتخريب مدينة "أفنا" درا البيضاء حاليا.

أما بقية المدن الجزائرية فهي عبارة عن مدن مستقلة تتجاوزها قوة متصارعة آنذاك، فمدينة الجزائر بما فيها سهل
متيجة فكانت تحت حكم الثعلبية، وكلما خضعت لسلطة ما تدفع لها الجزية مع تمتعها بالاستقلالية من حين لآخر،
مع استمرارية النشاط التجاري مع الضفة الأخرى للمتوسط منذ أواخر القرن 15م.³

-أما إدارة مدينة الجزائر فكانت من اختصاص مجلس أعيان تحت حماية الثعلبية وبقيت تحت سلطتهم حتى بداية
الهجمات الأسبانية على السواحل الجزائرية في عهد "سليم التومي". أما مدينة وهران فكانت تابعة لإمارة تلمسان إلا
أنها تتمرّد باستمرار على حكم الزيانيين وترفض الخضوع لهم⁴.

سكان وهران حرافيون وعدد كبير منهم أندلسيون فروا من الاضطهاد الصليبي الأسباني، ولتسيير المدينة يختار من
مجلس للأعيان، وعرف عنها حسن معاملتها للأوروبيين مع جعل الاتصالات مكثفة مع الجنوبيين والكاتالونيين..

-أما مدينة بجاية فكانت خاضعة لحكم الحفصيين في تونس، وتمكن الأمير "أبو الحسن" من إنشاء إمارة حقيقية
ببجاية وحكامها يتمتعون باستقلالية دائمة عن السلطة المركزية، وقد ساهمت إمارة بجاية في نجدة الأندلسيين
الفارين من الاضطهاد الديني من تسليح السفن والإغارة على السواحل الأسبانية.

-أما خارج المدن والمناطق الداخلية على السهول والهضاب العليا فتتحكم فيها القبائل الخارجة عن رقابة أية سلطة
مركزية مثل قبائل الدواودة وأولاد سالم. أحد فروع الثعلبية الذين كان نفوذهم يمتد على سهل متيجة حتى مدينة
الجزائر⁵.

توفيق المدني، حرب الثلاثمائة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 69.³

توفيق المدني، حرب الثلاثمائةمرجع سابق، ص 69.⁴

نفسه، ص 71.⁵

1- المحاضرة الأولى: سقوط غرناطة وانعكاساته على البلدان المغاربية:

إن ضعف دولة الموحدين وانقسامها جعل المغرب الإسلامي يدخل منذئذ في مرحلة في غاية الخطورة تمثلت في المنازعات والتطاحنات الإقليمية والإقليمية والعائلية على حد سواء، وتجسد التطاحن الإقليمي في رغبة كل دولة في السيطرة على المغرب الإسلامي بأكمله الشيء الذي أدى إلى الاصطدام ببعضها البعض، وقد كانت هذه الحروب استنزافا واضحا لثروات البلاد وجهودا ضائعة.

لقد سعى بنو مرين إلى السيطرة على المغرب الكبير بيد أنهم اصطدموا بالحفصيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للموحدين، وقد عانت هذه البلاد المغرب الأوسط أي دولة بني عبد الواد بحكم موقعها الوسطي من ذلك كثيرا، فكانت تارة تصطدم بالمرينيين وتارة أخرى بالحفصيين مما جعل لا تعرف استقرارا وتكون بين المد و الجزر.

كانت من نتائج هذه الحروب المستمرة أن عمت الفوضى ولم يحل القرن الخامس عشر حتى ظهر واضحا عجز ملوك بني عبد الوادي على فرض سيطرتهم على المغرب الأوسط بأكمله، ولم يتمكنوا من فرض نفوسهم حتى على الناحية الغربية وتلمسان إلا بعسر.

وعموما يمكننا تلخيص الوضع السياسي العام أن البلاد انقسمت إلى مجموعة من الإمارات والمشixات والقبائل المستقلة: مشيخة الجزائر التي تتصدرها قبيلة الثعالبة وإمارة "كوكو" التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى، أما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني العباس فقد كان تابعا للأمير عبد العزيز الحفصي ومن ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد اقتصر على مدينة تلمسان ووضواحيها، وهذا لانقسام السياسي للمغرب الإسلامي دفع بأحد المؤرخين يكتب ما نصه: "لقد انغمست هذه الدويلات في حروب طويلة مزمنة إذ خلال قرن كامل لم يبق لأمرأ هذه العائلات المالكة من السلطة سوى اسمها وكان شغل الملوك الشاغل إحباط المؤامرات والفتن ولخص شارل أندري جولييان هذا الوضع المتردي بقوله: "إن بلاد المغرب أصبحت عبارة عن فسيفساء سياسية"⁶

⁶ شارل أندري جولييان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تح: محمد مزالي والبشير سلامة، ج2، دار التونسية للنشر، د.م، 1983، ص250.

إن هذه الأوضاع المتردية والفوضى السياسية العارمة كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية، ونلمس هذا بكل جلاء فيما كتبه "فرناندو دي زافرا" والذي كان كاتباً بالبلاط الأسباني ومكلفاً بحراسة شواطئ إسبانيا ومراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين إلى بلاد المغرب في أعقاب إجراءات الطرد: "إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة"⁷.

ويتضمن هذا القول حقيقتين خطيرتين:

1- وصف مطابق للحقيقية ينم عن معرفة دقيقة بالوضع السياسي المتدهور مما يجعلنا نستنتج بدون عناء أن إسبانيا كانت تتابع عن كثب ما يجري في بلاد المغرب الإسلامي.

2- تحريض صريح للاستيلاء على بلاد المغرب الإسلامي.

لقد أخذت الحروب بين مسلمي الأندلس والصليبيين الأسباب دينية نظرا للدور البالغ وللمساهمة العظيمة للكنيسة في ذلك من خلال حث جميع البلاد المسيحية على وضع إمكانياتها البشرية والمالية تحت تصرف ملوك إسبانيا من أجل إبعاد الخطر المسلمين وفرض ضريبة لتمويل الحرب ضد المسلمين، وتعد سنة 1492م سنة حاسمة في تاريخ إسبانيا بوجه خاص إذ كانت تعيش في غمرة النصرين العظيمين: نصر على المسلمين بالأندلس ونصر اكتشاف العالم الجديد"⁸.

لقد كانت مدينة مليلة على الساحل المغربي أول مدينة تسقط في يد الأسبان سنة 1497م، ومدينة مرسى الكبير وهو موقع له أهميته بالغة 1505م بعد حصار للميناء دام خمسين يوما، ومدينة وهران سنة 1509م بعدما قاموا بتخريب المدينة وقتل 4000 أسير وتحويل مسجدين إلى كنيستين ونتيجة لهذا الانتصار الأسباني اعترف السلطان الزياني بنوع من التبعية لإسبانيا الصليبية. أما مدينة بجاية كانت أوضاعها السياسية متدهورة بسبب الصراع العائلي تمكن

⁷ F. Braudel. Les espagnols et l'Afrique du nord de 1492-1577. R.A. 1928. P198.

⁸ العروي، تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص58.

الأسبان من احتلالها سنة 1510م بعدما ارتكبوا مجازر شنيعة بذبح 4100 مواطن بسبب مقوماتهم البطولية.. واحتلال مدينة دلس 1511 والتزمت بدفع الضريبة إلى اسبانيا.⁹

استطاعت اسبانيا الصليبية من تطويق ساحل المغرب الإسلامي عن طريق احتلالها نقاط إستراتيجية بواسطة أساطيلها الضخمة والقوات الكبيرة لأسباب التالية:¹⁰

1- الأسباب السياسية والاقتصادية:

توحيد اسبانيا سياسيا دفع ملوكها إلى التفكير في إنشاء إمبراطورية واسعة الأرجاء مع صعود "شارل كونيت" وأنه مكلف بمهمة ربانية بتكليف من الكنيسة التي تربى في أحضانها ، كما أن ابنه و خليفته فيليب الثاني قاد مشروع الهيمنة على كل الحوض المتوسط من خلال وضع أسس احتلال استيطاني¹¹.

إن اختار وهران والمرسي الكبير لانطلاقة المشروع لأنهما يمثلان مينائي إمارة تلمسان وهذه الأخيرة تعتبر بوابة رئيسية نحو الإمارات الإفريقية جنوب الصحراء حيث تعبر منها كميات ضخمة من السلع بما في ذلك وفرة القمح و الماشية والرغبة في السيطرة على تجارة الذهب التي كان يتحصل عليها السلطان الحفصي من تجارته مع إفريقيا جنوب الصحراء لتحويل تلك الطرق نحو البحروهي محطة هامة للتجار القادمين من جنوة والبندقية، و احتلال الساحل الشمال الإفريقي الذي يمكن اسبانيا من خلق طريق بحري يمتد من مدينة "سيفيل" إلى صقلية الغنية بالقمح و الاسبانيةSevilleمصدر غذائها الرئيسي¹².

التنافس البرتغالي-الاسباني على السواحل الأطلسية دفعت بهم للاتفاق على تقسيم سواحل المغرب الإسلامي إلى منا+طق نفوذ بمقتضى معاهدة "تورديسيلاس" 1494م، وهناك تعاون مشترك بينهما لخنق وإخضاع المغرب بإقامة الحصينات في المدن المحتلة مما أدى إلى خنق تجارة المغرب الخارجية.¹³

توفيق المدني، حرب الثلاثمائةمرجع سابق، ص 68.⁹

توفيق المدني، حرب الثلاثمائةمرجع سابق، ص 61.

توفيق المدني، حرب الثلاثمائةمرجع سابق، ص 60.¹¹

شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية.....مرجع سابق، ص 261.¹²

شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية.....مرجع سابق، ص 266.¹³

لم تتأثر المبادلات التجارية بين المغرب الإسلامي والمملكات المسيحية، وكان الأسطول يبحر في محطات محددة يبدأ من طرابلس، جربة، تونس، بجاية، بجاية، القل، عنابة، الجزائر، وهران، ويؤكد حسن الوزان مطلع القرن 16م: "كان للتجار الجنوبيين وكالات هامة في كل من عنابة، تونس، طرابلس، سبتة، وبقيّة الموانئ يحملون الصبغة والجلود من القل والحبوب والزبدة من عنابة ويصطادون المرجان على طول الساحل من عنابة إلى تونس.

2- الأسباب الدينية:

إن زواج الملك فرديناند وإيزابيلا تم بمباركة البابوية ورعايتها والتي منحهم لقب الملوك الكاثوليك بعد سقوط إمارة غرناطة في عهد البابا ألكسندر السادس حتى أن اسبانيا برمتها بانتصارها الديني على المسلمين ومدفوعة بالروح الصليبية للكاردينال "فرانيسكو خيمينيس دي سيسنيروس" الذي كان وراء المشاريع التوسعية في الجزائر¹⁴ وقد كان حلم إيزابيلا التي ماتت 1504م هي تحضير للحملة العسكرية على المرسى الكبير وتركت وصيتها قبل وفاتها: "انه لا ينبغي إيقاف غزو إفريقيا، ولا الصراع ضد الكفار المسلمين من أجل العقيدة"، وفعلا احترم خيمينيس تلك الوصية وتم احتلال المرسى الكبير أثناء الحملة على وهران والذي قام بتجهيزها بأمواله الخاصة في وقت كانت خزينة اسبانيا تعاني من عجز بسبب حروبها الوراثة في أوروبا.¹⁵

-وبعد وفاة الملك فرديناند خلفه الملك فيليب الثاني ليواصل سياسة التوسع لملوك اسبانيا شعاره: "استئصال هذا العنصر الذي لا يمكنه تمسيحه" ولإبراز الدافع الديني لا بد من الإشارة إلى أن المشاريع الاسبانية استهدفت التصدي للدولة العثمانية لضم بلاد المغرب داخل إطار الخلافة الإسلامية ، كما ساهمت الكنيسة البابوية في لعب دور الوسيط بين الأسبان و البرتغال على التوسع والاحتلال ولتفادي أي مواجهة بينهما قد تقضي على مشروع الكنيسة في تمسيح العالم¹⁶.

¹⁴ توفيق المدني. مرجع سابق، ص 62.

¹⁵ F. Braudel. Les espagnols...op. cit. p 195.

¹⁶ op. cit. p 196

3.- الأسباب العسكرية:

ترجع البداية الأولى للقرصنة إلى الهجرة الجماعية لمسلمي الأندلس نحو أقطار المغرب الإسلامي و على رأسها الجزائر منذ سقوط مدينة أشبيلية 1371م. كان البحارة المسلمون انطلاقا من مدينة "الميريا" يجوبون بحار و سواحل الدول المسيحية، وبفضلهم تمكن المغاربة من إتقان الملاحة و القرصنة وكان ضحاياهم سفن فرنسية وانجليزية وهولندية وإيطالية وألمانية تمر عبر مضيق جبل طارق متجهة نحو الشرق، وبعد سقوط إمارة غرناطة أخذت السفن الإسبانية تطارد القراصنة المغاربة متخذة منها ذريعة للاعتداء على السواحل، ثم جاءت ثورة الباشارات 1502/1499م وتخیر المشاركين فيها من أهل غرناطة بين التنصير و النفي، فكانت أن اختارت الأغلبية الهجرة إلى أقاليم المغرب الإسلامي، وبالنسبة لهؤلاء فالقرصنة هي جهاد بحري ضد الصليبيين لتأخذ بعدا إنسانيا لإنقاذ ألف المسلمين الفارين من اسبانيا الصليبية بعدما زحفوا من شمالها إلى جنوبها و تطلعهم إلى الإسلام بمساندة إخوانهم بالمغرب الإسلامي¹⁷.

استقر هؤلاء المهاجرون بمدن المغرب الإسلامي منهم من اندمج بإنشاء ورشات لصناعة الأسلحة والأقمشة والمصنوعات الجلدية، و البعض الآخر انطلق إلى البحر على متن السفن التي كانوا يجهزونها انطلاقا من وهران، الجزائر، بجاية يهاجمون سواحل كاتالونيا، جزر ايبيزا، مايوركا، صقلية فساهموا بذلك في إنعاش الساحل المغربي وبفضلهم أصبحت مدينة الجزائر عاصمة القرصنة منذ القرن 15م فازدهرت التجارة و المدن بما في ذلك ذهب أمريكا عبر الأطلسي، ومع مجيء الإخوة برياروس انتظمت الأمور أكثر ونشطت البحرية الجزائرية جاعلة مهمتها الأولى إنقاذ مسلمي الأندلس بعد ثورة الباشارات حيث جهز خير الدين 36 سفينة ساهمت في إنقاذ الآلاف منهم، ولوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية مما

سببته من خسائر مادية و بشرية وذلك بالإغارة على سواحلها واحتلال أهم المدن التي بدون موانئها لا يمكن الحديث عن نشاط بحري¹⁸.

¹⁷ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية.....مرجع سابق، ص 249.

¹⁸ توفيق المدني، مرجع سابق، ص 66.

2- المحاضرة الثانية: أوضاع الدول المغربية في أواخر القرن 15 م ومطلع القرن 16 م.

فرضت اسبانيا الصليبية الطاعة و الولاء على بلاد المغرب الإسلامي و مشايخه وأمرائه وفقا لسياستها و مشاريعها حتى تتفرغ لإيطاليا و الصراع الدائر هناك بين مختلف الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا للسيطرة على ثرواتها بالإضافة إلى كونها موطن الكنيسة البابوية.

إن مدن وهران، مرسى الكبير، تلمسان، مستغانم، تنس، بجاية، عنابة، احتلت مباشرة من طرف القوات الاسبانية وإما أرغمت على قبول حصون اسبانية أقيمت قرب موانئها مع وجود مدفعية تستطيع التحكم في كل النشاطات، وباستثناء وهران والمرسى الكبير فإن تسيير المدن ترك للأهالي والمشايخ التابعين لهم¹⁹، مع العلم أن السياسة الاسبانية في تلك المدن اختلفت حسب المشاريع ورغبات ملوك اسبانيا، فبينما كان هدف إيزابيلا بتدعيم و توجيه الكاردينال "خيمينيس" الاستيطان والاحتلال داخل البلاد المغربية واتخاذها قواعد للتوسع داخل البلاد، أما زوجها Presidios الملك فرديناند فقد اكتفى بإقامة مراكز محصنة

لأنه كان مهتم أكثر بإيطاليا و الصراع الأوروبي هناك أكثر من وجوده بالجزائر²⁰.

*ثانيا:

1-احتلال المرسى الكبير

كان الكاردينال "خيمينيس"²¹ الموجه حتى المنفذ للمشاريع التوسعية الاسبانية على المدن و الموانئ الجزائرية بمباركة العرش الأراغوني، فوقع الاختيار على المرسى الكبير كنقطة إنزال تحت نصيحة "جيرينيمو فبانيلي" وهو الجاسوس مشكلة من 150 سفينة من Diego Fernando de cordoba الايطالي من البندقية، قاد الحملة العسكرية على المرسى مختلف الأحجام و 5000 عسكري. جاء الإنزال العسكري الاسباني ليلا في "كاب فالكون" ورغم المقاومة الباسلة لحماية

العروي، تاريخ المغرب، محاولة في التركيب،مرجع سابق، ص 87.¹⁹

توفيق المدني، مرجع سابق، ص 69.²⁰

كاردينال ورجل سياسي اسباني 1436-1517م، جعلته الملكة إيزابيلا كاتم سرها سنة 1492م ليمارس علمها تأثير خاص على شؤون الدولة. ساهم بقسط كبير في اضطهاد المسلمين الأندلسيين، وبعد وفاة الملكة إيزابيلا أصبح الوصي على شؤون مملكة قشتالة في انتظار بلوغ "شارل كونت" سن الرشد، كما ساهم في إنشاء محاكم التفتيش.²¹

المرسى الكبير وعلى رأسها قائدها الذي صمد مدة ثلاثة أيام قبل أن يستشهد وسلم الحصن وبشروط مشرفة قبل أن تصل النجدة من تلمسان والمناطق المجاورة لها وتمكن الأسبان من التحصن داخل أسوار المرسى حيث نصبوا مدافعهم التي منعت تقدم الجزائريين.

2-احتلال مدينة وهران 1509م.عين على رأس الحملة.

بلغ الأسطول 90 سفينة من مختلف الأحجام و24 ألف جندي وصلت بسرعة إلى مرفأ الكبير don Pedro Navarro . واستولت عليها، وقد فشل الهجوم الأول جراء الرياح العاتية التي صعبت إنزال الجنود الأسبان، ورغم ضعف التنظيم فقد تمكن المدافعون عن المدينة من صد المعتادين.لقد أكدت المصادر الأوروبية وحشية الجنود الأسبان من ذبح و تقتيل للشيوخ والأطفال والنساء دون تمييز وقد بلغ عددهم 4000 قتل ونهبت المدينة من التحف والنفائس والكتب النادرة شحنت كلها إلى اسبانيا، وتم تحرير 300 أسير مسيحي، ومن جهة ثانية قام الكاردينال خيمينيس" من تحويل مسجدي المدينة إلى كنيسة مع تحصينها لجعلها مركزا حربيا لمواصلة مشاريع الاحتلال والتوسع، كما قام باستقدام عائلات مسيحية تمتن الزراعة من أجل إقامة مستوطنات و تعمير المدينة كليا بالعنصر المسيحي وبالفعل تم توطین 600 عائلة اسبانية وتعيين "دي كوردوبا" حاكما عاما على وهران وقاعدة مرسى الكبير ومملكة تلمسان، ودخل هذا الأخير في مفاوضات مع العديد من القبائل الداخلية وأقام معها تحالفات"²².

3-احتلال مدينة بجاية وإقامة حصن البينيون مقابل مدينة الجزائر 1510م.

خرج قائد الأسطول الاسباني" بيدرو نافارو" على رأس أسطول متكون من 14 سفينة على متنها 8000 جندي لغزو مدينة بجاية وكانت آنذاك تمثل أحد أهم المدن الجزائرية بنشاطها العلمي والتجاري والعمراني والبحري نظرا لإشرافها على ميناء هام ساهم في الوصول أعداد كبيرة من الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الديني"²³.
تم الإنزال الاسباني العسكري ليلا لبدأ الهجوم مع طلوع الفجر، وقد تمكن الأسبان بفضل مدفعيتهم المتطورة المصوبة نحو تحصينات المدينة من فتح فجوة في السور المحيط بها مكنتهم من التسلل عبره والسيطرة عليها"²⁴.

²² Mercier.Ernest. HISTOIRE DE LAFRIQUE SEPTENTRIONALE. TOME.II .PARIS. 1888.P418.

²³ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر. نشأتها وتطورها من قبل 1830م، ط1، الجزائر، ص161.

²⁴ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق، ص160.

ورغم المقاومة الشديدة لسكان المدينة والمدافعين عنها وعلى رأسهم حاكم قسنطينة عبد العزيز الحفصي. أبيضحت المدينة للجنود الأسبان فخرّبوها وقتلوا أكثر من 4500 من سكان بجاية، وتنمکن المقاومون من الصعود إلى الجبال والمرتفعات المشرفة على المدينة لتنظيم أنفسهم استعدادا لمواصلة المقاومة، كانت أولى الأعمال التي قام بها الأسبان ببناء قلعة قرب البحر وإصلاح حصن قديم يطل على البحر قرب مخازن السلاح.

-سقوط وهران، بجاية في ظرف قصير، وعنف الهجمات الاسبانية ومعاملة السكان القاسية أحدث موجة من الخوف و الرعب على طول الساحل الجزائري، فأسرع العديد من الشيوخ وحكام المدن نحو الملك الاسباني فرديناند معلين الطاعة و الخضوع لسلطانته و على رأسهم وفد مدينة الجزائر الذين وقعوا وثيقة الاستسلام بدل الوقوع تحت الحصار البحري الاسباني متذرعين بانعدام نظام دفاعي²⁵.

سنة 1510م توجه "سالم بن تومي" بصفته شيخ مجلس الأعيان لمدينة الجزائر إلى بجاية معلنا ولاءه للقائد الاسباني "دي نافارو" الذي طلب منه دفع ضريبة باهظة، وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين وقبول بناء حصن على تلال جزر المقابلة لمدينة الجزائر²⁶، كما أشرط عليه الذهاب شخصيا برفقة مولاي عبد الله حاكم مدينة "تنس" إلى اسبانيا متعهدين أمام فرديناند بتنفيذ تلك الشروط، وهي نفس المعاهدة المفروضة على مدينة مستغانم التي تنص على أن العرب و اليهود مجبرون على خدمة ملك القلعة بوفاء وإخلاص، ويدفعون الضرائب والغرامات المفروضة عليهم في كل أول جوان من كل سنة وتحول تلك الأموال إلى أمين خزينة وهران دون تزوير أو غش أو نقصان، كما نصت المعاهدة على تحرير الأسرى المسيحيين في كل من مستغانم و مزغران ولا يمتنع السكان بيع الجنود الأسبان ما يحتاجونه من مواد غذائية وبأسعار محددة، وفي حالة ترميم الحصون أو تطوير وسائل دفاعها يجب على السكان تقديم المساعدة بإعارة حيواناتهم، وأن لا يسمحوا تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك أو الملكة. وكان استسلام مدينة مستغانم في 26 أبريل 1511م.

²⁵ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق ص164.

²⁶ Mercier.Ernest. HISTOIRE DEOP.CIT. P419.

penon de Angel - حصن البينيون :

بني حصن البينيون على أكبر الجزر المقابلة لخليج الجزائر والمعروفة بجزيرة "سطوفلة" وهي تبعد ب300م على المدينة، وقد بني على أنقاض منارة بناها الأندلسيون نهاية القرن 15م لإرشاد السفن.

مهمة الحصن جعل مدينة الجزائر تحت رحمة الأسبان وإجبار سكانها على تنفيذ بنود المعاهدة، وكذلك منع أي نشاط بحري للأسطول الجزائري مما أجبر السفن على التوجه إلى تامنغوست أو سيدي فرج، كما أقام الأسبان داخل القلعة فرقة عسكرية من 200 جندي مدعمة بالمدفعية، وفعلا تحول الحصن إلى شوكة مغروسة في قلب المدينة وسكانها، كما عاشت المدينة اضطرابات منذ 1510م بسبب اختلاف الآراء حول مبلغ الجزية التي تدفع للأسبان ووجود حامية قرب المدينة شلت كل حركة تجارية خارجية خنقت المدينة وشجع "سليم التومي" على احترام المعاهدة stoffa لأنها توفر الأمن والحماية للمدينة لكن أغلبية السكان كانت آراؤهم مختلفة.

-احتلال عناية 1510م:

بعد احتلال مدينة عناية بقيادة "بيدرو دي نافارو" دون مقاومة تذكر ثم انتقل إلى طرابلس فاستولى عليها رغم المقاومة الشديدة لسكانها وارتكب فيها أبشع الجرائم حيث قتل 6000 مسلم من المدافعين عن المدينة، وبعد احتلالها تنازل القائد الأسباني لنائب الملك في صقلية.

3-المحاضرة الثالثة: -المد العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط.

استقر الإخوة بربروس في ميناء حلق الوادي بتونس بسبب توفره على مناخ مناسب للقيام بالجهاد البحري ضد الصليبيين ، وكانت جل غزواتهم البحرية ناجحة ضد الصليبيين وزرعت فيهم الرعب من هذه القوة البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط.²⁷

بدأ خير الدين في رسم خطة للجهاد البحري ونصرة المسلمين الأندلسيين الفارين من الإبادة المنظمة، واستطاع عروج بناء أسطول بحري تعدت عملياته من اعتراض السفن في عرض المتوسط وإلى مهاجمة الموانئ الأوروبية وخاصة منها الإسبانية بالاستعانة بالبحارة المغاربة، وكان استقراره بمدينة جيجل بالسواحل الشرقية الجزائرية والتي اختارها لعدة عوامل منها أنها تتوفر على غابات كثيفة تساعد على صناعة السفن²⁸ بالإضافة إلى رغبة سكانها الاستنجاد بالإخوة بربروس ومواجهة التحرشات الإسبانية المتكررة، وبالفعل تمكن عروج من تحرير "جيجل" من الجنوبيين رغم محاولات الأسبان المتكررة لاسترجاعها، وبذلك بدأ عهدا جديدا في الجزائر بداية 1519م على يد خير الدين بعد استشهاد "عروج".²⁹

بعد احتلال مدينة بجاية سنة 1510م من طرف الأسبان شكل علماء وأعيان المدينة وفدا لمقابلة عروج وطلبوا منه إنقاذ المدينة ومساعدة الأمير عبد الرحمن على استرجاعها، وعلى إثر هذا اللقاء لى الإخوة بربروس نداء علماء بجاية وساروا على رأس جيش صغير لمحاصرة بجاية، وكانت هذه المحاولة أليمة بالنسبة لعروج الذي فقد إحدى ذراعيه وأرغم على التراجع نحو مدينة تونس، وقرر هذه المرة نقل جنوده وأسطوله من حلق الوادي إلى مدينة جيجل القريبة من بجاية وهي يومئذ مدينة صغيرة وقاعدة تجارية للتجار الجنوبيين³⁰، وبعد معارك قاسية تمكن عروج من اقتحام المدينة سنة 1513م بعد انضمام أهالي جيجل إلى الإخوة بربروس عارضين عليهم خدماتهم من أجل تحرير المدينة وبقية المدن الساحلية.

²⁷ شارل أندري جوليان. تاريخ إفريقيا الشمالية.....مرجع سابق، ص 240.

²⁸ نفسه، ص 241.

²⁹ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق، ص 160.

³⁰ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق ص 161.

وعقب وفاة الملك الاسباني فرديناند الكاثوليكي سنة 1516م رأى سكان مدينة الجزائر أن الفرصة قد حانت لإلغاء

العمل بالمعاهدة و التخلّص من شروطها المهيّنة و من الحصن الذي كان عبارة عن "شوكة في قلوبهم"³¹

سار خير الدين بقوة تضم 16 سفينة على متنها خمسمائة من الرجال المسلحين فضلا عن ثلاثة لألاف من جندي من

سكان جيجل و ضواحيها ونصب عددا من المدافع نحو الحصن الاسباني إلا أن خير الدين لم يحقق الهدف المنشود

تخطيط حصن "البينيون".³²

أدى استقرار الإخوة عروج بمدينة الجزائر مخاوف سالم التومي زعيم الثعلبية وبدأ يشعر أن زمام الأمور بدأت تخرج

من يديه وأنه لم يعد له أي شأن بالمدينة، فسعى إلى الدسائس والاستعانة بالأسبان فقتل على يد عروج في ظروف

غامضة، ورغم فشله في طرد الأسبان

من الحصن إلا أنه استمر في تع تحصينات المدينة ومضايقة الأسبان ومنعهم من التزود من الماء، وهذه الأعمال

جعلت سكان مدينة الجزائر يلتفتون حوله و يباعدونه.

أما ناحية الغرب الجزائري كانت مدينة تلمسان تعيش تطاحنا عائليا من أجل السلطة و الملك، إذ زج السلطان أبو

حمو الثالث الذي أعلن ولاءه للأسبان بابين أخيه أبي زيان في السجن مما دفع بالسكان إلى الاستنجاد بعروج الذي

دخل المدينة ونصب أبو زيان ملكا على تلمسان، فسارع القائد الاسباني وحاكم وهران إلى التدخل بجيش قوامه

عشرة آلاف

جندي لاسترجاع تلمسان من عروج وإعادة تنصيب أبي حمو الثالث ملكا ثم فرض على مدينة حصارا عسكريا دام

سنة أشهر تضرر أثناءه عروج ورفقاؤه كثيرا بسبب قلة الذخيرة

وتناقص عدد جنده، فقرر اختراق الحصار ليلا لكنه لقي حتفه قرب نهر المالح سنة 1518م مع عدد من جنوده.³³

عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988،

ص17.³¹

نفسه، ص19

عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق، ص160.³³

إن التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية كان بإرادة أهلها وعلى هذا الأساس عقد مجلس الأعيان اجتماعا طارئاً بعدما قرر خير الدين مغادرة القطر الجزائري الذي رفض القرار الذي اتخذه خير الدين، وهذا ما أكدته مفتي الجزائر بقوله الموجه لخير الدين: "...ليس لهم غيرك كحاكم، وسيكون من غير المشرف أن تتركهم عرضة لهجمات الكفار الذي لا ينتظرون إلا الوقت الذي تبتعد فيه عنهم ليغرقوا البلاد بجيش من" البرابرة".

أقترح خير الدين على مجلس أعيان مدينة الجزائر كرد على مفتي مدينة الجزائر طلب الحماية من الباب العالي و بالتحديد من السلطان "سليم الأول" وهذا ما كان حيث توجه مجلس الأعيان برسالة مؤرخة بداية شهر ذي الحجة سنة 925هـ الموافق 03 نوفمبر 1519م والذي جاء فيه على وجه الخصوص: "...لقد أظهر مزيداً من الشجاعة والجدية عندما قادنا إلى الجهاد في سبيل الله بنية حسنة وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لإعلان كلمة الله".³⁴

استقبل الوفد الجزائري من طرف السلطان سليم الأول بدرجة كبيرة من الحفاوة والاحترام، وعند عودته إلى الجزائر حمل معه فرماناً تضمن موافقة السلطان على طلب الوفد مع إرسال أسطول بحري من السفن الحربية للجزائر لدعم قوة خير الدين. إن ثقة الوفد وتزكيته المطلقة لخير الدين زادت أهميته لدى السلطان العثماني، لذلك بعث له مع الوفد الجزائري السيف والخلة السلطانية مصحوبين بفرمان تضمن تعيينه كأول حاكم عثماني على الجزائر باسم الباي لرباي لتدخل الجزائر بذلك مرحلة جديدة من تاريخها الحديث عرفت بالجزائر العثمانية وبداية حكم الباي لربايات³⁵.

ونجحت البعثة الجزائرية في تحقيق أهدافها، إذ سارع السلطان "سليم الأول" إلى جعل الجزائر إيالة عثمانية وإعطاء خير الدين بربروسة رتبة باي لرباي الجزائر وممثلاً للسلطان العثماني وأن أي اعتداء خارجي على أراضيها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية³⁶.

³⁴ عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية.....مرجع سابق، ص19.

³⁵ عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية.....مرجع سابق، ص23.

³⁶ نفسه، ص24.

4- المحاضرة الرابعة: -تطور نظام الحكم في الجزائر خلال الفترة العثمانية:

*:التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني

1-الديوان وهيئاته وموظفوه:(الديوان أو مجلس الحكومة)

أضحى الديوان أهم مؤسسة على مستوى الحياة السياسية ابتداء من مطلع القرن السادس عشر الميلادي إذ أن جل القضايا المتصلة بالسياسة الخارجية والأوامر السلطانية كانت تعرض على الديوان، ونظرا لأهميته فإن الحكام العثمانيين كانوا يعينونه في كل إيالة من إيالات الخلافة العثمانية"³⁷.

يعود تأسيس الديوان إلى خير الدين بربروس مثلما ذكره الأسير الاسباني "هايدو"، انقسم الديوان إلى هيئتين سياسيتين وهما : 1/الديوان الصغير(الخاص): الذي ضم كبير ضباط الانكشارية وعددا من الموظفين الكبار ويرأسه الباشا، الذي كان يمسك السلطتين التشريعية والتنفيذية في آن واحد دون تدخل هيئة الديوان الكبير."³⁸

في عهد الدايات كان يجتمع الديوان الخاص بقصر الباشاوات أربع مرات في الأسبوع لحل القضايا الداخلية والاستعجالية بتفويض من رئيس الجلسة ويضع أعضاء المجلس شريطا ذهبيا يزين مقدمة عمائمهم كرمز لمكانتهم. ومن قوانين الداخلية للديوان الخاص:

-، عدم حمل الأسلحة خلال انعقاد الجلسات.

-التشاور والتفاهم باللغة العثمانية مع حضور مترجم كرغلي.

-مبدأ الحوار والمناقشة حسب السلم الوظيفي والعسكري.

-في حالة الاختلاف في الرأي حول القضية المطروحة يكلف الداى "آغا العسكر" بحلها، ويختتم الداى الجلسة، فهو صاحب الصلاحية ويكون بلفظ "شرع الله" ويردها بعده باقي الأعضاء"³⁹

ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص215.³⁷

ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالة الجزائرية.....مرجع سابق، ص216.³⁸

2-الديوان الكبير(الديوان العام):

هو مجلس موسع وعبرة عن مجلس تشريعي له صلاحية مراقبة حكومة الداي، وأعضاؤه من كبار الضباط عددهم حوالي ثمانين عضوا بالإضافة إلى أعضاء الديوان الصغير الذي يتكون الموظفون السامون وكلهم عثمانيين⁴⁰

وتجري الاجتماعات في دار الإمارة كل يوم السبت، ولا يجتمع إلا في القضايا الهامة الإيالة

كالحرب و السلم واتخاذ القرارات في جميع القضايا⁴¹

ولا يمكن أن يصبح الموظفون أعضاء في الديوان إلا إذا توفرت فيه الشروط التي ينص عليها القانون، ويبرهن عن الخبرة والمقدرة، وأن يكون قد عمل في الجيوش البرية والبحرية ولذلك فإن جميع أعضاءه تقريبا متقدمين في السن ومتزوجين من الأهالي⁴²

ومن أبرز موظفيه السامون نذكر منهم :

1/الداي:

هو المسؤول الأول على الجهاز الإداري في حكم إيالة الجزائر، ويعتبر الممثل الشرعي للسلطان العثماني، كما يعد الرجل الوحيد المخول له التوقيع على الوثائق الرسمية⁴³

2/الخزناجي:

³⁹ عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص --ص 112-113.

⁴⁰ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص 219.

⁴¹ حمدان خوجة، المرأة، ترجمة: محمد العربي الزبيري، د. ط. المؤسسة الوطنية للفنون، المطبعة الجزائرية، 2006، ص 56.

⁴² حمدان خوجة، المرأة.....مصدر سابق، ص 83.

⁴³ عائشة غطاش وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثةمرجع سابق، ص 118.

يشرف على خزينة الدولة من خلال مراقبة خزينة الدولة من حيث استلام المداخل التي كانت تصل من مختلف أنحاء البلاد سواء كانت عينية أو أشياء أخرى ثمينة، وعادة ما كان يتم تعيين الخزناجي من قبل الداي وأعضاء الديوان ويخضع ترشيحه لاعتبارات منها أن يكون مخلصا و مواليا لهم.⁴⁴

3/ آغا المحلة:

هو الوزير الثاني و القائد الأعلى للحرب البرية، وأنه مكلف بإرادة الحرب والإشراف على الفرسان، وهو الذي يتأس عادة الحملات الموجهة ضد القبائل الثائرة⁴⁵

4/ خوجة الخيل:

هو الوزير الثالث ومن المرشحين لتولي منصب الداي، وتتمثل مهامه في الإشراف على مداخل الأراضي التابعة للبايليك والمسؤول على أحيائها وإصلاحها، كما يشرف على ما يقدمه البايات عينا من خيول ومواشي الى دار الإمارة الأمر الذي جعل سلطته تمتد إلى عرب الصحراء⁴⁶

5/ بيت المالجي أو الناظر على مؤسسة بيت المال:

يعود منصب بيت المالجي أو الناظر على شغل الموارث المخزنية، وبيع ما هو على ملك بيت المال من الدور والأراضي والأجنة داخل الجزائر وخارجها، ومراقبة تركات أو مخلفات جميع من يتوفى دون عقب، أو دون عاصب، ومن يطول غيابه كالأسرى فيعدون بذلك في عدد الموتى أو غريب أو مجهول، ولا يؤذن بدفن أي ميت إلا بأمر من بيت المالجي الذي يشرف في الواقع على إحدى أهم المؤسسات القائمة بمدينة الجزائر وقتئذ وهي مؤسسة بيت المال.⁴⁷

6/ وكيل الحرج أو وزير البحرية:

⁴⁴ عائشة غطاش وأخريات.. الدولة الجزائرية الحديثةمرجع سابق ، ص 119.

⁴⁵ نفسه، ص 120.

⁴⁶ ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالةمرجع سابق، ص 220.

⁴⁷ حمدان خوجة، المرأة.....مصدر سابق، ص 221.

ارتبطت مكانته بنشاط الغزو البحري، وكان أحد أبرز الموظفين السامين وحينما تفهقر الغزو البحري فقد مكانته، وكان تحت إدارة وكيل الحرج كل ما يتصل بشؤون البحرية والغزو البحري والعلاقات الخارجية، ويخضع لسلطته الأميرال أو القبطان وقائد الميناء والحراس ورياس البحر⁴⁸

فترة البلديات 1518-1589م:

- تعتبر مرحلة البايديات بداية إلحاق الجزائر رسميا بالدولة العثمانية سنة 1519م.

كان السلطان العثماني هو الوحيد صاحب الصلاحية في تعيين بلديات وأولى أهمية كبرى لهم وهذا ما ساعد على ضم أقطار المغرب الإسلامي التي تضم الجزائر، تونس، طرابلس، تحت راية الدولة العثمانية وهذا ما جعل المؤرخون يطلقون عليهم أسم "ملوك الجزائر"،

كان بلديات الجزائر يعينهم السلطان العثماني على أساس الشجاعة و الذكاء و حسن التسيير، ولشهرتهم في مقاتلة الأعداء كخير الدين، صالح رايس، حسن بن خير الدين، ولثقته الكبيرة فهم بعد استشارة العارفين الإيالة وأحوالها، إذ نجد السلطان بعد تعيينه حسن بن خير الدين للمرة الرابعة يوجه رسالة إلى "علج علي" قبطان الأسطول العثماني يستشيريه فيمن يراه مناسبا لتولي هذا المنصب في حال تنازل حسن بن خير الدين عنه"

كان حكام الجزائر من البايديات من أصول متعددة، إذ نجد منهم العلج "كحسن آغا، حسن آغا، حسن قورصو والتركي كقائد صفا ومحمد باشا تركلي، و العربي صالح رايس وعرب أحمد، والكرغلي كحسن بن خير الدين. لقد امتازت هذه الفترة السياسية بحكم رياس بحر كبارلم يكونوا يعملون لحسابهم أو لحساب طائفة معينة، أو معارضة شخص يعينه السلطان على حكم الإيالة وكان وفاقهم كبير للسلطان الذي تربطهم به وحدة المصير في الصراع الإسلامي-المسيحي⁴⁹.

⁴⁸ . حمدان خوجة، المرأة.....مصدر سابق، ص222..

⁴⁹ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق، ص 187.

1- دور البلديات في المجال الداخلي:

وضع البلديات أسس الجزائر الحديثة، إذ عززوا نفوذ السلطة المركزية، وخلال هذا العهد عرفت الجزائر حدودا ثابتة، وعاصمة رسمية، ووضع التنظيمات الإدارية الحديثة، قسمت فيها الجزائر إلى مقاطعات عرفت بالبايليات وهي على التوالي:

-بايليك التيطري:--بايليك الشرق:--بايليك الغرب:--دار السلطان"⁵⁰:

كما عرفت هذه الفترة بتحسين البلاد من خلال بناء الحصون وتعزيز الدفاعات البحرية إذ بمجرد تحرير حصن البينيون 1529م هدمه خير الدين وبني ما عرف بحوض خير الدين وذلك لتأمين السفن من الرياح الشمالية الغربية، وبناء القلاع، وأنشأ حصنا ذا أربعة طوابق يشتمل على فوهات لرمي النيران لحماية المدينة وحوض السفن من أي خطر خارجي، بالإضافة إلى بناء المساجد، القصور، والحمامات، التوسع العمراني لمدينة الجزائر وحي القصبة. وما فتئ خلفاء خير الدين يولون اهتماما كبيرا لميناء الجزائر باعتباره المنطقة الأكثر عرضة للخطر الأجنبي والمملجأ الآمن لسفهم ونقطة الاتصال الرئيسية مع العالم الخارجي، إذ أضيفت له تحصينات جديدة في سنوات 1556م، 1568م، 1573م⁵¹، كما تم تحصينه بالأسوار والأبراج والخنادق.

وفي مجال الدفاع عن الحدود الجزائرية تمكن البلديات من صد حملة شرلكان الصليبية في عهد حسن باشا خليفة خير الدين وإلحاق الهزيمة بملك اسبانيا ومن ورائه جيوش أوروبا المسيحية، وتبوءت الجزائر منذ ذلك الحين مكانة معتبرة وأصبحت تدعى "الجزائر المحروسة"

خلال معظم فترة القرن السادس عشر كانت السلطة تمارس من طرف البايليات مباشرة أو عن طريق نوابهم، وكانت سلطتهم تصل إلى باشاوات تونس وطرابلس، وكانوا يتصرفون باستقلالية، ويتمتعون بثراء كبير"⁵².

⁵⁰ ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالةمرجع سابق، ص 210.

⁵¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص389.

⁵² نفسه، ص124.

حكم هذه الفترة حوالي 20 حاكما عاد عدد منهم إلى الحكم مرتين أو أكثر، وكان عدد منهم يحملون لقب البايبراي كحسن بن خير الدين، صالح رايس، علي، في حين كان آخرون عبارة عن خلفاء للبايبراي ينوبون عنهم في الحكم عندما يستدعون من قبل السلطان.

كان بايبرايات الجزائر من أصول متعددة،⁵³ إذ نجد منهم العليج "كحسن آغا" وحسن قورصو، و التركي كقائد صفا ومحمد باشا تكرلي "والعربي" كصالح رايس "وعرب أحمد" والكرغلي كحسن بن خير الدين، وقد امتازت هذه الفترة بحكم رياس بحر كبار لم يكونوا يعملون لحسابهم الخاص أو لطبقة رياس البحر، ولم يكونوا يسعون لمعارضة الشخص الذي يقلده السلطان إمرة الجزائر، وقد أدى بهم الأمر إلى حد الانضمام إلى مرشح السلطان محمد تركلي "ضد الانكشارية رغم عدم كونه من طائفة الرياس، وساعده إلى الوصول إلى السلطة وفاء منهم للسلطان الذي تربطهم به وحدة المصير في الصراع الإسلامي-المسيحي الذي شهده القرن السادس عشر، ولم يحدث أن حاولت طائفة الرياس فرض مرشحها على السلطان أو الأوجاق-

تمكن بايبرايات الجزائر من الدفاع عن حدود الجزائر سنة 1541م بصد حملة شارلكان الصليبية خلال حكم حسن بن خير الدين آغا وإلحاق الهزيمة به وبذلك لم تتجرأ أوروبا على إرسال حملة ضد الجزائر، وتبوءت الجزائر منذ ذلك الحين مكانة معتبرة وأصبحت تدعى "الجزائر المحروسة".⁵⁴

غير أن المؤامرات في الخفاء بقيت مستمرة من الجانب الإسباني ومع الدولة السعدية على الحدود الغربية للجزائر، ولم يقف نشاط البايبرايات عند هذا الحد، بل أبلوا البلاء الحسن خلال مساهمتهم في خوض الجهاد المشترك في المتوسط والذي أنجر عنه توسيع النفوذ العثماني بالمنطقة على حساب النفوذ الإسباني.⁵⁵

⁵³ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق، ص177.

⁵⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ط1، دار البعث، الجزائر، 1985، ص55.

⁵⁵ سعد الله، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص384.

-2- فيالبربايات المجال الخارجي:

تمثلت المشاركة الجزائرية إلى جانب الدولة العثمانية المشاركة في حصار مالطة 1565م، وفي معركة ليبنت 1571م، ونجدة فرنسا 1542-1543م، وفي فتح تونس 1574م، وعموماً فإن مرحلة البايلربايات تعد مرحلة تنظيم داخلي ونشأة نواة كيان سياسي بحدوده وعاصمته وأقاليمه وبروز في المجال الإقليمي ومساهمة في رسم خريطة غرب المتوسط لصالح الدولة العثمانية على حساب إسبانيا التي جنحت إلى السلم وعقدت هدنة مع العثمانيين سنة 1580م⁵⁶.

-أبرز بايلربايات الجزائر العثمانية:

1- خير الدين بربروس:

يعتبر مؤسس إيالة الجزائر-حسب الكثير من المؤرخين الجزائريين-وأول من بنى القوة البحرية الجزائرية العثمانية خلال القرن 16م، وتسمية خير الدين أطلقها عليه السلطان سليم الأول.

-إنجازاته:

تمكن خير الدين من نقل الخطر المسيحي إلى السواحل الأوروبية في حوض المتوسط في عملية استباقية، كما تمكن من تهديد المدن الأوروبية والسفن المسيحية العابرة للبحر المتوسط من سفن جنوة، والبندقية، وإسبانيا، ولم يستثن من ذلك أي دولة أوروبية ما عدا التي تربطها بالدولة العثمانية معاهدات صداقة وعدم اعتداء مما أحدث الرعب والخوف لدى ملوك و أمراء أوروبا.⁵⁷

-تصدى خير الدين لهجوم ملك صقلية "هيغو دي مونكادا" ضد مدينة الجزائر 1519م واسترجاعه لمد ساحلية بالشرق الجزائري كانت التي كانت تحت سيرة إسبانيا الصليبية.⁵⁸

نفسه، ص56.⁵⁶

مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدوليةمرجع سابق، ص57.⁵⁷

نفسه، ص58.⁵⁸

-هجوم خير الدين على المدن الساحلية وإنقاذه لأكثر من سبعين ألفا من الأندلسيين قام بنقلهم إلى الجزائر.

-تخليص قلعة البينيون نهائيا من قبضة الأسبان عام 1529م واسر قائد الحمية "مارتن دوفارغاس" ومن معه من الجنود الأسبان.

-انجاز دارالسفن بالجزائر سنة 1534م بعد استفادته من تجربته في اسطنبول عندما قام بإصلاح دارالسفن هناك التي مكنته من إعداد أسطول كبير غزى به عدة مدن على السواحل الجنوبية ليطاليا.

وبهذه الانجازات وغيرها تنتهي مرحلة خير الدين باشا بعدما وافته المنية في 04 جويلية 1546م عن عمر ناهز ثمانين سنة.⁵⁹

2-البابليباي : علج علي:

من أصول مسيحية واسمه الحقيقي "لوكا غاليني" ولد أواخر القرن السادس عشر أي حوالي 1500م، وقع في الأسر على يد خير الدين وهو في العاشرة من عمره 1524/1528م وسلم إلى حسن بن حير الدين، ثم عين بابليباي على الجزائر بموجب فرمان سلطاني 1568م خلفا للرايس محمد صالح، واستمر بابليباي من سنة 1568/1587م.⁶⁰

-انجازاته:

كان رجل بحرقوي الشكيمة. و من خلال شخصيته القوية شارك في العديد من الغزوات البحرية ويعتبر من الشخصيات الوفية "لحسن بن خير الدين" عينه واليا على تلمسان ثم بايا على الإسكندرية، ثم أمير أمراء تونس وأخيرا أمير أمراء تونس. وأخيرا بابليباي على الجزائر، ثم قائدا عاما على الأسطول العثماني مع احتفاظه بمنصب بابليباي على الجزائر.

⁵⁹ عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة.....مرجع سابق، ص112.

⁶⁰ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية.....مرجع سابق، ص220.

*التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني

2-عهد الباشاوات 1587-1659.

قبل البدء في الحديث عن خصائص هذا العهد ، وأهم الأحداث التاريخية التي جرت فيه ، لا بد من الإشارة إلى أسباب تغير النظام السابق، لقد كان ولاية عهد البايبراي أقوياء⁶¹ ، وأصحاب نفوذ واسع تخطت سلطتهم الجزائر إلى تونس، وطرابلس بحكم أنهم أصحاب فضل فضل في فتح هذين البلدين و إلحاقهما بالدولة العثمانية التي كافأتهم على ذلك بإعطائهم امتيازات واسعة، ولما كانت مدة حكم هؤلاء البايبرايات غير محدودة فكثيرا ما تمتد فترة الواحد منهم عدة سنوات في منصبه و يصبح صاحب مركز قوي⁶². ويبدو أن الأسباب متعددة ولعل أهمها تخوف السلطان العثماني من تحول الجزائر نحو الاستقلالية خصوصا بعد أن عقدت الدولة العثمانية معاهدة مع عدوها ومنافستها في حوض المتوسط اسبانيا سنة 1580م،⁶³ وبالتالي تحول مجال سياستها نحو الشرق، وأصبحت التحديات هناك تقتضي منها حضورا أكبر مما قد يشع البايبرايات الذين تخضع لهم تونس وطرابلس الغرب على ضم المغرب وتشكيل وحدة سياسية متماسكة تستقل عن مقر السلطة العثمانية في اسطنبول، ويبدو هذه المخاوف غذاها السفراء الغربيون بعاصمة الخلافة الذين كانوا يخشون من وقوع وحدة سياسية في الضفة الجنوبية للمتوسط، و من جهة أخرى بدأت الدولة العثمانية تشتم رائحة التمرد و محاولة الانفصال عنها⁶⁴، و الاستقلال بهذه البلاد ، فتقرر تقصير مدة حكم الوالي إلى ثلاث سنوات فقط ، و التنقيص من امتيازاته السابقة ، و اختصاصاته ، و تغيير لقبه إلى الباشا، وقد قلصت الامتيازات التي كانت سابقا البايبرايات وحصرت مهمته في جمع الضرائب والمحافظة على الأمن و تنفيذ تعليمات السلطان وتجنيد الجيش أثناء الأزمات والجمع بين السلطين المدنية والعسكرية.

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص352.⁶¹

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص352.⁶²

عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة.....مرجع سابق، ص112.⁶³

صر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية.....مرجع سابق، ص220.⁶⁴

-و يذكر بعض المؤرخين أن الانكشارية هي التي ظلت تثير تخوفات وشكوك الباب العالي في نية البايبربايات طوال فترة حكمهم ، الأمر الذي جعل من رجال الدولة العثمانية يرون أن السلطة في الولايات الثلاث: الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب⁶⁵ تحت حكم رجل واحد قد يشكل خطرا على الإمبراطورية العثمانية " ، وبالتالي لابد من تقسيم الحكم و فصل الولايات عن بعضها البعض ، وإسناد كل إدارة إلى باشا يحكم لمدة ثلاث سنوات ، وذلك لإحكام السيطرة على البلاد ومنع حدوث أي تمرد ضدها، وهذا تكون الدولة العثمانية قد فكرت في تأمين وحدة الإمبراطورية مانعة أن تكون إدارة شمال إفريقيا كله بيد شخص واحد ولمدة طويلة"⁶⁶ .

سادت فترة الباشاوات فوضى كبيرة و عدم الاستقرار، فالباشاوات المعينين لفترة محددة بثلاثة سنوات تمكن القليل منهم من إتمام عهده، فقد كانوا أحيانا يضطرون للهروب بعد صراعات مع الأوجاق أو طائفة الرياس، كما ظهر تناوب 2و3 باشاوات على السلطة في نفس السنة، فمثلا في سنة 1594م مصطفى باي وخضر باشا، وفي عام 1517م ظهر كوسة مصطفى وسليمان باشا والشيخ حسين باشا، وهذا يدل على عدم الاستقرار الذي ميز هذا العصر"⁶⁷ .

على الصعيد الداخلي:

- عرفت الجزائر العديد من التمردات و الثورات امتد ليهيها إلى الأعماق الصحراوية و إلى منطقة القبائل الكبرى نتيجة إرهابهم بالضرائب ، كثورات القبائل (1643) التي اندلعت بسبب زيادة الضرائب على المناطق القبلية ، وذلك ليتمكن الباشاوات من جمع المزيد من المال وبسرعة ، وفي اعتقادهم أن القبائل لا تثور ، بالإضافة إلى الثورة العارمة التي تزعمها رياس البحر من جهة و الجنود الانكشاريون⁶⁸ من جهة ثانية ، حيث ثارت الفئة الأولى بسبب قيام الباشا إبراهيم بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها لهم الباب العالي تعويضا عن خسائرهم في منطقة البحر الأدرياتيكي ، و قيامه بدفعها كرشاوي لرجال الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه"⁶⁹ ، ومن أجل

سعيدوني/البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص37.⁶⁵

عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة.....مرجع سابق، ص124..⁶⁶

ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية.....مرجع سابق، ص142..⁶⁷

سعيدوني/البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني،مرجع سابق، ص39..⁶⁸

عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة.....مرجع سابق، ص125..⁶⁹

ذلك هاجم رياس البحر قصره و اعتقلوه و أودعوه السجن ، ثم بعد ذلك تم ترحيله إلى " أزمير " . أما فئة الانكشارية فقد ثارت على نظام الباشاوات بسبب تطلعها المستمر إلى السيطرة و الحكم بشتى الوسائل⁷⁰ .

و بالتدرج انتقلت إدارة الولاية إلى الانكشاريين و كسب ديوانهم قوة و نفوذا ، و صار الباشاوات موظفين فقط برئاسة الاحتفالات الرسمية و بعقد المعاهدات ، و انتهى الأمر بسيطرة فرقة الانكشارية على السلطة سنة 1659 ، و اختفاء نظام الباشاوات و ظهور نظام جديد عرف بعهد الأغوات، و قد تقرر إعطاء السلطة التنفيذية للأغا رئيس الفرقة العسكرية ، أما السلطة التشريعية فقد تقرر أن تكون بيد الديوان و بالتالي أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم⁷¹ .

لم يقتصر عهد الباشاوات على الصراع على السلطة بين الأوجاق و الباشاوات وإنما تجاوز ذلك إلى التأثير على الجوانب الاجتماعية، فالباشا الذي لا يمكنه في الإيالة سوى ثلاثة سنوات لا يكفيه هذه المدة لفهم تعقيدات الحياة السياسية و القضايا المطروحة في الإيالة، و بمجرد أن تشح أموال الخزينة كان الباشاوات يلجؤون إلى فرض الضرائب على المدن و الأرياف⁷² ، مثلما حدث في 1634م في عهد يوسف باشا مما يفتح المجال أمام التمردات التي تكاثرت في عهد الباشاوات، فظهرت العديد الثورات المحلية نذكر منها ثورة القبائل و في الشرق الجزائري بالإضافة إلى ثورة الكراغلة الذين رفضوا دفع الضرائب و الإقصاء السياسي⁷³ ، سوء تسيير و ثقل الضرائب في عهد " خضر باشا " 1589-1592م و تجددت في عهد خلفه " شعبان باشا " و في عهد " جمال يوسف باشا " سنة 1640م، فان عهد الباشاوات عرف طغيان العنصر العثماني وحده، و انتهت بمقتل عدد كبير من الكراغلة و فرار من تبقى⁷⁴ .

و قد تميزت هذه المرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر بما يلي :

ناصر الدين سعيدوني، و رقات جزائرية..... مرجع سابق، ص 144.⁷⁰

سعيدوني/البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، مرجع سابق، ص 40.⁷¹

سعيدوني/البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، مرجع سابق ، ص 41.⁷²

سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي..... مرجع سابق، ص 350.⁷³

ناصر الدين سعيدوني، و رقات جزائرية..... مرجع سابق، ص 144.⁷⁴

- تعيين باشا تركي في كل من الجزائر و تونس و طرابلس، بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر.
- يقوم السلطان العثماني بتعيين باشا كل 3 سنوات يقوم بإرساله من تركيا و يستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه ، على أن يقوم بإرسال باشا آخر من هناك، و بالتالي أصبح كل باشا يشعر أنه ليس في حاجة إلى ولاء الشعب مادامت مدة ولايته محدودة ، فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال طوال فترة حكمه. و مادام الحصول على الثروة هو الهدف الأساسي للباشاوات فقد أصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية لا تهمهم⁷⁵.
- إن انصراف الباشاوات إلى السلب و النهب و جمع الثروة قبل عودته إلى القسطنطينية ، دفع باليولداش أو رجال الجيش البري أن يثوروا عليهم و يضعفوا نظام الحكم في الجزائر.
- بدأت تظهر الخلافات و التناقضات بين جنود البحرية الجزائرية و جنود الانكشارية⁷⁶، و خاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الإمبراطورية العثمانية .
- كما ظهر التصادم و التنافر بين جنود البحرية و جنود القوات البرية ، و خاصة أن رجال البحرية كانوا يحصلون على غنائم كبيرة من جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوروبية ، و هذا الصراع هو الذي تسبب في إضعاف الدولة الجزائرية⁷⁷.
- إن هذا الصراع راح ضحيته الأهالي نتيجة ظلم الانكشارية و انصراف طبقة الرياس إلى مصالحها الخاصة و التخلي – تقريبا – عن دورها في الاهتمام بالرعية و مصالحها .
- برزت قوة الرياس أو قوة رجال البحرية الجزائرية إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر و تسعى لإقامة علاقات تعاون معها.

⁷⁵ سعيدوني/البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني،مرجع سابق، ص40.

⁷⁶ سعيدوني/البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني،مرجع سابق، ص40. ص41.

⁷⁷ ناصر الدين سعيدوني، و رقات جزائرية.....مرجع سابق، ص144.

و من بين أبرز الأحداث التي شهدتها عهد الباشاوات على الصعيد الداخلي و الخارجي نذكر:

***1/ على الصعيد الخارجي:**

- عمل باشاوات الجزائر على وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين بسبب تأييد فرنسا لاسبانيا في عدوانها على الجزائر ، حيث قام الباشا خضر بتحطيم المركز الفرنسي بالقالة و أسر رواده ، و بالمقابل أخذ الفرنسيون يعتدون على السفن الجزائرية و كان رد الجزائر بالمثل ، حيث أسر القنصل الفرنسي بالجزائر ، و على إثر ذلك تعقدت العلاقات الدبلوماسية الفرنسية مع الجزائر من جهة و مع الخلافة العثمانية من جهة أخرى ، فاضطرت فرنسا إلى التفاوض و إبرام معاهدة بتاريخ 1628/09/19 م نصت على مايلي :

*إطلاق صراح الأسرى من الجانبين.

*التوقف عن الأمر من الجانبين.

*مسألة البواخر الفرنسية في البحر.

* قنصل فرنسي بالجزائر يتمتع بحصانة دبلوماسية .

* بناء المركز الفرنسي التجاري بالقالة⁷⁸.

الجدير بالذكر أن فرنسا لم تحافظ على نصوص المعاهدة و قامت بالاعتداء المتكرر على السفن الجزائرية و شواطئها و قتلت الكثير من الجزائريين، و كان رد الجزائر بالمثل بتتبع مراكب فرنسا و أسرها فيها.

- سوء العلاقة السياسية بين الجزائر و تونس بسبب تدخل البايات التونسيين في شؤون شرق الجزائر ، حيث كانوا يشجعون على قيام الاضطرابات ، و تمت المصالحة بين البلدين بإبرام معاهدة صلح عام 1628م.

⁷⁸ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية.....مرجع سابق، ص145.

- شنت أوروبا حملة على مدينة الجزائر في أوت 1601 بقيادة الاسباني " جان دوريا " (Doria) و مباركة البابا متكونة من سبعين سفينة حربية و عشرة آلاف جندي من فرنسيين و ايطاليين و اسبانيين متبعة في ذلك خطة الكابتن الفرنسي " روكس " ، لكنها باءت بالفشل⁷⁹.
 - كثرة الغزوات البحرية الجزائرية ضد السواحل الأوروبية ، و خاصة في عهد الباشا الأول " أحمد باشا " (دالي أحمد) الذي قاد بنفسه حملات عام 1588 هاجم شواطئ نابولي و صقلية و كورسيكا و اسبانيا⁸⁰.
- *التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني.

3- عهد الأغاوات: 1659-1671:

تعتبر هذه الفترة من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر حيث عرفت فيها البلاد اضطرابات سياسية كبيرة في نظام الحكم ، من انقلابات ، و اغتالات ، و فساد ، و تعرض الحكم التركي فيها لهزات عنيفة عجز فيها عن توفير الأمن و الاستقرار الداخلي⁸¹ ، ويمكن القول أن الجزائر منذئذ دخلت مرحلة حاسمة سيطر فيها الجند من السلطة، و يعد هذا الحدث منعرجا حاسما في تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية و المركز إذ كان تمردا واضحا على السلطان العثماني⁸².

وبعدما نجح الجند "بالباشا ابراهيم" في السجن أرسل السلطان "الباشا علي" ليستلم مهامه لكنه وجد وضعاً سياسياً صعباً للغاية بسبب العصيان الصريح الذي أعلنه الجند ضد أي مظهر لتبعية السلطان، فألقوا عليه القبض رفقة من رافقوه ووضعوه على متن سفينة وعاد من حيث أتى، ولما علم الصدر الأعظم "محمد كوبرلو باشا" بمجريات أحداث الجزائر أصدر أمراً بقتل الباشا على الذي أخفق في فرض هيبة السلطان، وفي الوقت ذاته أرسل فرماناً شديداً للهجة إلى الجزائريين جاء فيه: "...لن نرسل إليكم واليا بايعوا من تريدون، والسلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم لدينا

⁷⁹ سعد الله، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص 501.

عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي(عصر الإمبراطورية) العهد التركي في تونس والجزائر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 338.

⁸¹ عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ.....مرجع سابق، ص 339.

⁸² سعيدوني-البوعبدلي، الجزائر في التاريخ.....مرجع سابق، ص 69.

آلاف الممالك مثل الجزائر..⁸³ لكن الآغا خليل الذي حمل لواء الثورة لم يبق في سدة الحكم سوى سنة واحدة وكانت نهايته الاغتيال عام 1660م، وخلفه "الآغا رمضان" الذي بادر إلى إعادة العلاقات مع الباب العالي حيث رجعت العلاقات إلى وضعها الطبيعي إذ أرسل الباشا ابراهيم عام 1661م لكنه كان مشروطا من طرف الجند الذين جردوه من جل الصلاحيات مثلما لخص ذلك عزيز سامح إلتز: "...سلموه إدارة خاصة به لكنهم قرروا أن الأحداث الأساسية والإدارية الفعلية بيد آغاهم...." مما جعل النظام السياسي منذئذ يتميز بالأزدوجية من الناحية النظرية، أما في الواقع فقد كانت السلطة الفعلية بيد الآغاوات⁸⁴.

و يصف معظم المؤرخين عصر الآغاوات بالدموي و ذلك لكثرة عمليات الاغتيال التي يرجعون سببها أساسا إلى طبيعة تعيين الآغا ، و المتمثلة في انتخاب آغا جديد من طرف الجند كل شهرين حسب الأقدمية من بين ضباط الانكشارية ، و هو ما يشكل بحد ذاته خطرا على السلطة انعكس بدوره سلبا على المجتمع⁸⁵ ، و برغم قصر فترة نظام الآغاوات فقد تعاقب أربعة منهم على الحكم كلهم قضوا اغتيالا ، حتى أن الجند لم يجدوا من يقبل بهذا المنصب الذي أصبح أقبل السبل للموت⁸⁶.

و من أهم خصائص هذا العهد نذكر: 1- في الميدان الداخلي:

* السلطة التنفيذية بيد أحد أعضاء الجيش الانكشاري ، أما السلطة التشريعية فيتولاها الديوان .

* أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم ، و بالمقابل سيطرة الانكشارية على السلطة .

* قرر ديوان الانكشارية أن يتولى الآغا الحكم عن طريق الانتخاب ، على أن يبقوا في الحكم لمدة شهرين اثنين فقط، و

بالتالي أصبح الديوان هو الذي يقوم بانتخاب "الآغا" المنتدب للحكم ، بعدما كان الحاكم يعين من قبل

السلطان العثماني خلال مرحلتي " البايكبايات ، و الباشاوات."

عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة.....مرجع سابق، ص340

⁸⁴ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية.....مرجع سابق، ص147

⁸⁵ سعيدوني-البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني.....مرجع سابق، ص149.

⁸⁶ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1.....مرجع سابق، ص375.

*اضمحلال نفوذ السلطان العثماني و غياب السيادة العثمانية في الجزائر ، و نتج عن ذلك استياء تركيا من انفصال
حكام الجزائر عنها و قطع كل المساعدات عنهم⁸⁷ .

*استفحال الصراعات المحلية سواء بين ضباط الجيش البري أو ضباط الجيش البحري ، و تدمير أبناء الشعب من الفساد
السياسي و انتشار الفوضى في البلاد، و عدم رضا الأهالي عن الطبقة الانكشارية⁸⁸ .

- فشل الأغوات في فرض نفوذهم على السلطة كما نشبت عدة ثورات ضدهم في جهات كثيرة من الوطن مثل:العاصمة
، و بلاد القبائل عام 1668 م ، نالت من هيبتهم و

جعلتهم عاجزين على القبض بزمام الأمور. الأمر الذي شجع طائفة رياس البحر لاستعادة مكناتهم السياسية⁸⁹ .

-و بعد اغتيال "علي أغا" عام 1671. ألغي هذا النظام بقرار من ديوان الأوجاق و الذي عوض بنظام الدايات ، حيث
يظل الداوي في الحكم طوال حياته دون أن يكون له الحق في تعيين من يخلفه⁹⁰ .

· *2-على الصعيد الخارجي:

- برز الصراع بين فرنسا و انجلترا حول السيطرة على إفريقيا الشمالية.

- كثرت الغارات البحرية الفرنسية ضد الجزائر، ففي عام 1663 شنت فرنسا حملة عسكرية بقيادة الدوق دوفور
(Duc Beaufort) للاستيلاء على مدينة الجزائر⁹¹ ، و لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، فنظمت حملة أخرى

انطلقت من ميناء تولون (Toulon) يوم 23 جويلية 1664 تحتوي على 83 سفينة و 8000 عسكري بقيادة

كولبير (Colbert) و الدوق دوفور و نزلت بجيجل ، لكن سكانها و الأتراك أجبروهم على الرحيل بعد معركة دموية
خسرت فيها فرنسا العديد من بواخرها و جنودها. فكرر ملك فرنسا لويس الرابع عشر عام 1665 هجوما آخر فاشلا

⁸⁷ عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب الكبير، ط1، شركة تاس للطباعة، القاهرة. ج4، أوت، 2006، ص95.

⁸⁸ عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي.....مرجع سابق، ص98.

⁸⁹ سعد الله، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص378.

⁹⁰ سعيدوني-البوعبدلي، الجزائر في التاريخ.....مرجع سابق، ص78.

⁹¹ عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب.....مرجع سابق، ص97.

على كل من مدن شرشال و القل و جيجل⁹² ، ولم يعد السلم بين الدولتين إلا بإبرام اتفاقية جديدة مع فرنسا في 7 ماي 1666 التي نصت على إطلاق الأسرى من الجانبين و مسالمة سفن الجانبين في البحار ، و بعد إبرام المعاهدة حصل هدوء نسبي بين البلدين لتدخل قوات أخرى في الصراع⁹³.

*قامت انجلترا عام 1669 بشن هجوم على الجزائر و الاعتداء على مراكبها في عرض البحر لكن المدفعية الجزائرية أجبرتها على العودة ، و في سنة 1671 هاجم الانجليز ميناء بجاية و أضرموا النار في اثني عشر مركب جزائري ، كما هاجموا ميناء الجزائر و أضرموا النار في ثلاثة مراكب .

- *دخل حلبة الصراع ضد الجزائر إلى جانب الفرنسيين و الانجليز كل من الأسبان و الهولنديين و كاد الأمر يتحول إلى تحالف أوروبي ضد الجزائر ، إلا أنها تفتنت وفوتت الفرصة فصالحت الهولنديين عام 1663 لمحاربة الفرنسيين ، و صالحت الفرنسيين لتحارب الانجليز و الهولنديين ، و في عام 1671 صالحت الانجليز لتعود إلى الحرب مع فرنسا و هكذا.

4*- عهد الدايات (1671-1830) :

يمثل هذا العهد المرحلة الأخيرة من مراحل التواجد العثماني بالجزائر ، و يعتبر نظام الدايات انتصارا لطائفة الرياس ، كما يدل ذلك على اختيار الدايات الأربع الأولين من بين طائفة الرياس ، و من فترة 1671 إلى 1689 كان الدايات ينتخبون من طرف الرياس ، ثم استرجع الأوجاق نفوذهم⁹⁴ ، فأصبح الدايات يختار من بين ضباط الانكشارية ، و ذلك بسبب الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية خلال عهد الدايات و التي ألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري و أضعفت مركز الرياس⁹⁵.

و تتميز فترة الدايات بالخصائص التالية :

⁹² سعيدوني-البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني.....مرجع سابق، ص149.

⁹³ نفسه، ص98.

⁹⁴ عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة.....مرجع سابق، ص339.

⁹⁵ سعيدوني-البوعبدلي، الجزائر في التاريخ.....مرجع سابق، ص71.

* كان لفئة الرياس دورا بارزا في تأسيس حكم الدايات الذين عملوا على تقليص نفوذ الديوان ، وأصبحت سلطته شكلية ، و بدخول الجزائر عهد الدايات عرفت استقرارا سياسيا .

* تعتبر فترة الدايات من أهم الفترات التي مرت بها الجزائر، حيث دامت مدة 159 سنة و هي تعادل نصف تاريخ التواجد العثماني بالجزائر، و يمكن أن نطلق على هذه المرحلة بمرحلة الاستقلال الحقيقي للجزائر عن الدولة العثمانية في تسيير شؤونها الداخلية و الخارجية .

حيث احتفظت تركيا لنفسها بسلطات شكلية في الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة و الاعتراف بمراسيم التعيين و التعاون في مجال الحروب ، بحيث تقوم الجزائر بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية التركية في حالة تعرض تركيا للاعتداء خارجي (كما حصل في معركة نافارين سنة 1827) و كذا في تقديم دايات الجزائر لهدايا أثناء المناسبات الدينية و السياسية و بالتالي القاسم المشترك بين الدولتين دفع بالجزائر إلى الإعلان عن ولائها الروحي و التبعية الاسمية للدولة العثمانية و تحالفها معها كدولة⁹⁶ .

محاولات الدولة العثمانية المتكررة التدخل في شؤون الدولة الجزائرية من

أجل استرجاع سلطتها ونفوذها السابق أيام حكم البايلربايات ، و الباشاوات ، و تأثير ذلك على مركز الدايات ، فحفّزت القوى المعادية لهم على التمرد و العصيان⁹⁷ ، وأصبح الداوي ينتخب من طرف الديوان العالي (المجلس) الذي صار بمثابة برلمان في عصرنا الحالي⁹⁸ ، و السلطان العثماني لا يلعب أي دور في اختيار داوي الجزائري و ينحصر دوره في إصدار مرسوم (أو فرمان) لتثبيت اختيار الديوان العالي بالجزائر ، و في حالة شغور المنصب فإن الديوان العالي هو الذي يختار خليفته بنفس الأسلوب السالف الذكر⁹⁹ .

بحلول عام 1710 دخلت الجزائر مرحلة هامة في نظامها السياسي ، فأنهت عهد ثنائية الحكم ، برفضهم الباشا

المبعوث من طرف السلطان العثماني حيث رفض الداوي علي شاولي

⁹⁶ مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر.....مرجع سابق، ص63.

⁹⁷ مرجع نفسه، ص64.

⁹⁸ عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق، ص187.

⁹⁹ مولود قاسم،مرجع سابق، ص68.

استقبال "شرقان ابراهيم باشا" ، كممثل للسلطان العثماني بالجزائر ، وبالتالي أصبح الداى يجمع بين المنصبين (الباشا و الداى) ، و هي مرحلة الاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية . و أكثر من هذا قاوم الدايات حتى وساطة الباب العالي في المشاكل الداخلية و الخارجية للجزائر ، و لم يعد بذلك السلطان العثماني أي نفوذ فيها.

يعين الداى في منصبه مدى الحياة ، حيث كان هو المسؤول العسكري و السياسي للبلاد ، والقاضي الأعلى في أمور الحرب و السلم و المسؤول على الضرائب و على التوظيف ، أي له صلاحيات غير محدودة فقد كان القتل هو الوسيلة للحد من صلاحياته¹⁰⁰

أصبحت الدولة الجزائرية في عهد الدايات تتمتع بحرية العمل في المجال السياسي و بنت جيشا قويا و عندها ميزانية مستقلة لا تقل أهمية عن ميزانية الدول القوية في تلك الفترة ، كما كان الداى يعقد المعاهدات (سلم و تجارة) باسم الجزائر و يبعث بقناصل الجزائر إلى الدول الكبرى و يوافق على اعتماد القناصل في الجزائر بدون مشاورة تركيا ، و يعلن الحرب ، و يستعمل العملة الخاصة بالجزائر ، و هذه العوامل كلها تبين استقلالية القرار الجزائري. إن نفوذ الجيش البحري (الرياس) و الدايات لم يخدم الأهالي و لم يستجيب لمطالبهم ، حيث بقي أبناء الجزائر مهمشين و لم تكن لهم مشاركة حقيقية في قيادة البلاد¹⁰¹ .

توجه القوات العسكرية و السياسية لخدمة مصالحهم ، حيث تحول الرياس من جنود مناضلين و مقاتلين ضد القوات المسيحية المعادية للإسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم و للحكام¹⁰² ، و بالمثل اهتم حكام الجزائر الدايات بجمع الثروة من العمليات الحربية ، و لم يهتموا بتطور الدخل من الثروة الفلاحية و توفير الغذاء للسكان¹⁰³ .

¹⁰⁰ نفسه، ص 66.

¹⁰¹ عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر.....مرجع سابق، ص 187.

عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة.....مرجع سابق، ص 33

¹⁰³ سعد الله، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص 378.

المحاضرة الخامسة: -تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعديين والعلويين:

1/الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى:

* أولاً: فترة حكم السعديين

تميزت أوضاع المغرب في بداية القرن السادس عشر (العهد الحديث) بوجود سلطة مركزية ضعيفة غير قادرة على توحيد البلاد، وعاجزة عن الوقوف في وجه الغزو البرتغالي المتزايد، وفي المقابل تقوى نفوذ الزوايا التي أصبحت تتولى مهمة تأطير حركة الجهاد ضد المحتلين، إلى أن تهيأت الظروف بجنوب المغرب لظهور السعديين كقيادة جديدة للبلاد، وقد تمكن هؤلاء من تنظيم المقاومة ضد البرتغاليين واستعادة وحدة البلاد، والوقوف في وجه الأطماع الأجنبية¹⁰⁴.

عرفت الدولة السعدية أزهى عهدها خلال فترة السلطان المنصور الذهبي، حيث اكتملت خلالها تنظيمات الدولة، وتقوى نفوذها ليشمل جميع مناطق المغرب وأجزاء من إفريقيا الغربية¹⁰⁵، كما ازدادت هيبتها على الصعيد الدولي بفضل السياسة الخارجية التي نهجها المنصور، الشيء الذي كان له دور كبير في استقرار الوضع الاجتماعية بالمدن والبادي المغربية، وانفتاح المغرب على تيارات حضارية مختلفة، وانتعاش الحياة الاقتصادية والفكرية انتعاشاً كبيراً خلال النصف الثاني من القرن 16م¹⁰⁶.

ولكن بعد وفاة المنصور عرف المغرب اضطرابات سياسية خطيرة بسبب الصراع على الحكم ورافق ذلك تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وترتب عن ذلك تراجع سلطة السعديين، وظهور قوات سياسية جديدة ساهمت بدورها في عودة تجزئة المغرب وتفكك وحدته.

¹⁰⁴ عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب الكبير، ط1، شركة تاس للطباعة، القاهرة، أوت. 2006، ج4، ص95.

¹⁰⁵ نفسه، ص96.

¹⁰⁶ نفسه، ص97.

1- أصل الأسرة السعدية

تنسب الأسرة السعدية لآل البيت النبوي، استقروا بדרعه الأوسط منذ القرن 14م (الثامن الهجري) ومنها نزحوا شمالا في القرن 15 م¹⁰⁷، وذلك نحو قرية تدعى تيدسي جنوب غرب تارودانت، وهي من مراكز طريق التجارة الصحراوية. وهناك استطاعوا اكتساب حظوة لدى السكان بفضل شرفهم ومساهماتهم في أعمال الجهاد ضد البرتغاليين¹⁰⁸.

وقد انطلقت الحركة السعدية مع المولى محمد القائم بأمر الله بمساعدة ابنيه؛ أحمد الأعرج ومحمد الشيخ، وذلك بتأمين شروط التنظيم والجهاد وفي مقدمتها الموارد المالية والأسلحة، فاستخلص الزكاة والأعشار من القبائل، وسعى إلى الحصول على الأسلحة والعتاد من الأوربيين مقابل تمكين بعضهم من احتكار تصدير بعض المواد مثل السكر...، لتركيز السلطة وتوسيع النفوذ¹⁰⁹.

- مواجهة السعديين للأخطار الخارجية:

1-4- مواجهة الخطر العثماني:

لتوطيد دعائم الدولة السعدية وحماية البلاد واجه محمد الشيخ ثم ابنه عبد الله تطلعات العثمانيين لمد سيطرتهم إلى المغرب، بعد أن تمكنوا من فرض سلطانهم على الشمال الإفريقي، كما استرجع محمد الشيخ مدينة فاس بعد أن دخلها أبو حسون الوطاسي بدعم من الأتراك عقب استنجاده بهم ضد السعديين، وبذلك وضع حدا لنفوذ العثمانيين بالقضاء على أبو حسون سنة 1555 م.

2-4- معركة وادي المخازن:

¹⁰⁷ عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب.....مصدر سابق، ص102.

أبو الحسن علي الحسني الندرومي، أسبوعان في المغرب الأقصى، رحلة ومذكرات ومشاهدات وانطباعات، مطبعة الرسالة، د.ب. 1981، ص112¹⁰⁸.

¹⁰⁹ أبو الحسن علي الحسني الندرومي، أسبوعان في المغرب الأقصى ص114.

لم تتوقف أطماع البرتغاليين في المغرب رغم تراجعهم عن الثغور، وظلوا ينتظرون الظرف الملائم للوثوب عليه، وهذا سيظهر جليا اثر أزمة العرش التي انطلقت بعد وفاة عبد الله الغالب¹¹⁰، حيث انه وبعد تمكن عبد الملك من الانتصار على ابن أخيه محمد المتوكل سنة 1576م، التجأ هذا الأخير إلى البرتغاليين لطلب مساعدتهم مقابل التنازل لهم عن الشواطئ المغربية¹¹¹. وكان على عرش البرتغال آنذاك الملك دون سباستيان (1557-1578) ذي التكوين المسيحي الكاثوليكي المتشدد، والذي كان متحمسا لتحقيق حلم البرتغاليين بالتوسع بالمغرب بهدف تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية وإستراتيجية¹¹².

ومن ثم استغل الفرصة وقاد قوة عسكرية كبيرة وضمها حشدا من المسيحيين المتطوعين لغزو المغرب رفقة حليفه المتوكل، ولما علم السعديون بنبا الغزو قاموا بالاستعداد لهذه المواجهة بتعبئة طاقات هامة ومتنوعة، فقد استثمروا الحماس الوطني الذي أثاره الغزو البرتغالي وجندوا أعدادا هائلة من المغاربة، كما وفروا الأسلحة المتطورة خصوصا النارية التي اهتموا بها منذ انطلاق حركتهم عن طريق الاستيراد وحتى عن طريق الصنع المحلي¹¹³، إذ توفر السعديون على مصانع للأسلحة والذخيرة في تارودانت ومراكش وفاس، تستغل معادن النحاس والحديد وملح البارود، كما زاد من فعالية القوة السعدية عملية التخطيط للمعركة واختيار موقعها وتوقيتها¹¹⁴، حيث تم استدراج جيوش العدو قرب وادي المخازن في 4 أوت 1578 م. وهكذا التقى الجيشان في المعركة التي سميت باسم موقعها، وهي معركة وادي المخازن، وقد حقق الجيش المغربي السعدي خلال المواجهة انتصارا واضحا أعطاه أبعادا تاريخية عميقة، فقد أدى الانتصار من جهة إلى انهيار القوة العسكرية والمعنوية للبرتغال والدول الحليفة، وهو ما وضع حدا للأطماع الاستعمارية بشأن المغرب، ومن جهة أخرى عمل الانتصار على تقوية المغرب وتعزيز مكانته¹¹⁵.

أبو القاسم الزياني، الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية، مخطوط مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، دار البيضاء، الورقة من 63-68.¹¹⁰

¹¹¹ المصدر نفسه، ص. 64.

¹¹² أبو الحسن علي الحسني الندرومي، مصدر سابق، ص 115.

¹¹³ أبو القاسم الزياني، الروضة السليمانية.....مصدر سابق، ص 63.

¹¹⁴ نفسه، ص 64.

¹¹⁵ أبو الحسن الحسني الندرومي، أسبوعان في المغرب الأقصى.....مصدر سابق، ص 116.

ثانيا: الدولة السعدية وعهد الاستقرار والازدهار:

1-حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي

أحمد بن أبي عبد الله الشيخ محمد المهدي ولد بفاس سنة 956 هـ وكان المنصور مشهورا بحزمه وتبعه لأخبار رعيته، وقد أسس مجلسا للشورى كان يجتمع يوم الأربعاء وكان يسميه يوم الديوان، وهو أول من استعمل المنصورية في لباسه، وكان مولعا بالعمران على غرار والدته، وكان شديد الحنو لأولاده، وقد اتخذ الاحتفال بعيد المولد كعيد رسمي، وكانت له علاقات طيبة مع عدة دول، كما كان إداريا ممتازا لا يقبل تهاونا، خاصة على مستوى التنظيمات الداخلية للدولة¹¹⁶.

-العلاقات الخارجية للدولة في عهد المنصور:

أولا: -العلاقات الخارجية مع القوتين المجاورتين العثمانية واسبانية:

واجه المنصور عدة محاولات للتدخل العثماني بعد ما جمعوا وحدات لأسطولهم بالجزائر سنة 1581 لغزو المغرب، لكنه استعد لهم وأقنعهم بالرجوع عن مشروعهم وحافظ على مسالمتهم وبادلهم الهدايا والسفارات، خصوصا بعد أن خف ضغطهم بسبب انشغالهم بحروب أوروبا الشرقية في القرن¹¹⁷ 16.

وإزاء الأسبان اتسمت سياسة المنصور بالمناورة والتظاهر بالتقرب إليهم، خوفا من التهديد العثماني وبتراجعه وانشغال الأسبان بمشاكلهم حاول الضغط عليهم وتحالف مع خصومهم في أوروبا.

ثانيا: -العلاقات مع باقي الدول الأوروبية:

*بالنسبة للانجليز: ابتدأت منذ القرن 16 وكانت ذات طابع تجاري وعمل السعديون على تقويتها والارتقاء بها إلى أحلاف عسكرية بمبادرة من الملكة اليزابيث بعد صراعها مع الأسبان وقد استفاد المنصور من هذا التحالف لتطور القوة العسكرية والضغط على اسبانيا لتتخلى على أصيلا.

¹¹⁶ أبو الحسن علي الحسني، مصدر سابق، 117.

¹¹⁷ أبو القاسم الزياني، الروضة السليمانية.....مصدر سابق، ص 69.

*بالنسبة لفرنسا وهولندا: ارتبطتا مع المغرب في إطار علاقات رسمية ذات طابع تجاري لم ترق إلى المستوى الذي عرفته مع انجلترا.

3-3-العلاقات مع السودان الإفريقي (الغربي):

عمل المنصور بعد استقرار أوضاعه الداخلية و الخارجية لضم أقاليم السودان و تشكيل إمبراطورية إسلامية في غرب القارة لمواجهة الأطماع الأجنبية في ظل أوضاع السودان السيئة و انقسامها و بتزايد الخطر الإيبيري عبر المراكز الساحلية في غرب القارة، و اتجه الملك المنصور إلى الاستيلاء على المراكز الصحراوية المتجهة إلى السودان، و حاول إقناع الملك سونجاي الدخول في طاعته و برفضه أرسل له حملتين عسكريتين 1591 فقصوا على مملكته ليتم ضم أقاليمها للمغرب و جعلها تابعة لإدارته المركزية، و عين لها واليا لتسيير أمور الإقليم .

مما ساهم في تعزيز مكانة المغرب وإنعاش أوضاعه الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و العمرانية .

*-العلاقات السعديين مع الجزائر:

تجددت أطماع المغاربة في عهد الملوك السعديين الذين لم يشذوا على سياسة أسلافهم التوسعية، وكانت مدينة تلمسان مركز الصراع لكونها بوابة بين شرق المغرب والغرب الجزائري، و من يملكها يملك عمق المغرب و الجزائر، ومن جهة أخرى كانت محطة تجارية هامة بين أوروبا و بلاد السودان، لذلك كانت دائما مطمعا لحكام المغرب وهدفا لغزواتهم منذ عهد المرينيين¹¹⁸

إن تدخل السعديين في تلمسان لا يعود فقط إلى الأطماع التاريخية لحكام المغرب في تلمسان ومزاياه الكثيرة، وإلى مجرد طموح محمد الشيخ السعدي، إلى توسيع ملكه، واستكمال فتوحاته، وإلى جعل أحد أبنائه ملكا على

اعمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، ج1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص141.

تلمسان"¹¹⁹، ولكن أيضا إلى بغضه للأتراك وهو يراهم يستولون على المغرب الأوسط، وخوفه من أن يتخذوا هذه الأخيرة ركابا لغزوه في المغرب"¹²⁰

إن البحث المعمق في المصادر المختلفة يكشف أن وراء استجابة أتراك الجزائر لرغبة "أبي حسون الوطاسي" في صراعه ضد ملوك السعديين، رغبة لحكام الجزائر في مد النفوذ العثماني إلى المغرب عن طريق أبي حسون الذي قبل الدخول تحت لواء الدولة العثمانية، والتنازل لهم عن بعض الموانئ والمراسي."

3- العلاقات الجزائرية مع المملكة السعدية:

عرفت العلاقات بين الجزائر والمملكة المغربية مع مطلع القرن السادس عشر حالة من الاضطراب بسبب حالة التشتت و التمزق السياسي الذي عرفته الأسرة الوطاسية وصراعها مع الأسرة السعدية و من جهة أخرى ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية وبداية حكم البلبايات الذي جعل من الجزائر تتحكم في الحوض الغربي من البحر المتوسط.

1-1* حملة بلرباي صالح راييس على المغرب 1554

وقعت غارة مغربية على الحدود المغربية الجزائرية فكانت سببا في إعلان الحرب بين البلدين، وجهز صالح راييس حملة عسكرية انطلق بها في جانفي 1554م والتقى بجيش "الشريف السعدي" الذي الحق به هزيمة منكرة وهرب مع ما تبقى من جيشه إلى مدينة فاس. وبعد هذه الهزيمة نصب صالح راييس "أبو حسون" على مدينة فاس بعد أن أخذ منه العهد بالوفاء والخضوع له.

1-2* احتدام الصراع بين العثمانيين والسلطين السعديين:

إن المتتبع لعلاقات الجزائرية المغربية خلال الفترة السعدية أو العلوية يجدها علاقات صراع وتوتر رغم وحدة اللغة و الجنس والتهديدات الخارجية من طرف الأسبان و البرتغال اللتان احتلتا مدن و موانئ المغاربة"¹²¹.

¹¹⁹ عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافيةمرجع سابق، ص142.

¹²⁰ نفسه، ص143.

يعود سبب الصراع إلى الإطماع التقليدية المغربية بالغرب الجزائري ومدينة تلمسان التاريخية رغبة في إحياء أمجاد دولة الموحدين وتوحيد المغرب الإسلامي من جديد تحت حكم الأشراف السعديين والعلويين¹²²، وتعتبر المغاربة أنهم أولى من حكم المغرب الإسلامي من الأتراك. الذين يعتبرونهم أعاجم رغم دخولهم الإسلام ونقلهم الخلافة الإسلامية إلى عاصمتهم وهذا ما يفسر مقاومتهم للتدخلات العثمانية و الجزائرية، ومن جهة ثانية، رغبة حكام الجزائر العثمانيين في مد نفوذهم إلى المغرب تحقيقاً لأهدافهم أهمها وحدة العالم الإسلامي تحت نفوذ الإمبراطورية العثمانية.

وبعد

وفاة السلطان السعدي "أحمد المنصور" سنة 1603م عمت المغرب الفوضى والاضطرابات وانعدم الأمن والاستقرار انقسمت البلاد إلى رقع جغرافية متصارعة نتيجة الاقتتال على السلطة بين أبنائه ، وفي هذه الظروف ظهرت الأسرة العلوية بنسبها الشريف ودعوتها الرامية لنزع الخلافة من السعديين، وتمكن السلطان العلوي "مولاي رشيد" القضاء على متمرعات القبائل والأطماع الخارجية. وبذلك دخل المغرب تجربته الشريفة الثالثة بعد دولتي الأدارسة والسعديين¹²³.

* ثانيا: فترة حكم العلويين:

يرجع نسب هذه الأسرة إلى جدهم الأعلى: الحسن بن قاسم الوافد إلى المغرب سنة 644هـ/1265م من "ينبوع النخل:" بالحجاز مع مطلع الدولة المرينية حيث استقر بسجلماسة إقليم تافيلالت، ويتصل النسب الشريف لهذه الأسرة إلى نسب النبي صلى الله عليه وسلم حسب المصادر التاريخية البارزة¹²⁴

-العصر السياسي الأول 1664-1757م:

¹²¹ أبو القاسم الزياني، الروضة السليمانية.....مصدر سابق، ص 67

¹²² عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.....مرجع سابق، ص 145.

¹²³ عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج 9، عهد العلويين الأول، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1988، ص 9.

¹²⁴ نفسه، ص 12.

1/المولى محمد بن محمد الشريف: وهو أول ملوك الدولة العلوية.

2/المولى الرشيد: 1664-1672م: تولى الملك بعد وفاة أخيه المولى محمد حيث دخل فاس بعد حصار ثالث في يونيو 1666م، ثم دخلت القبائل التي كانت خاضعة لأخيه تحت طاعته¹²⁵.

3/المولى إسماعيل: 1672-1727م: بويغ بعد وفاة المولى الرشيد وقد كان وقتها نائبا له بفاس، ثم توجه إلى مكناس واتخذها عاصمة له، لقي صعوبات كبيرة على غرار سابقه في إخماد الفتن والثورات¹²⁶، وأصبح المولى إسماعيل ابرز شخصية التفت حولها الأمة ودارت بينه وبين ملوك عصره الرسائل والمخابرات في مختلف الشؤون مع أنه حارب العديد منها. واستطاع القضاء عليها ثم تفرغ لفتح الثغور على غرار: طنجة 1679م، المهديّة 1681م، العرائش 1689م، أصيلة 1691م.¹²⁷

-ثانيا: عهد الاضطرابات 1727-1757م:

بعد وفاة المولى إسماعيل تنازع أبناؤه وطوائف الجيش من القبائل. ومنها: ثورة مراكش، ثورة فاس سنة 1083هـ/1682م، ثورة سوس سنة 1677م، ثورة الأطلس، ثم تفرغ لفتح الثغور على غرار طنجة 1679م، مدينة أصيلة 1691م، كما استطاع تحرير جميع الموانئ التي استولى عليها الأجانب.¹²⁸

2-العصر السياسي الثاني: 1757-1832م.

1-السلطان سيدي محمد ابن عبد الله: 1757-1789م: بعد تولية العرش تابع مهامه في إطفاء الفتن وإخماد الثورات، وجدد العلاقات التي عقدها جده المولى إسماعيل على غرار الدولة العثمانية.¹²⁹

¹²⁵ أبو القاسم الزياني، الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية، مخطوط مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، الورقة من 63-68.

¹²⁶ محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، 1075-1311هـ/1664-1894م، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1977، ص72.

¹²⁷ عبد الرحمن بن زبيدان العلوي، العلائق السياسية للدولة العلوية، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1999، ص47.

¹²⁸ أبو الحسن علي الحسني، الندرومي، أسبوعان في المغرب الأقصى، رحلة ومذكرات ومشاهدات وانطباعات، مطبعة الرسالة، دب، 1981، ص42.

- 2-المولى اليزيد 1789-1792م: أمه اسبانية من أرقاء النصارى، قتل في نزاعه مع أخيه هشام الذي كان ينازعه الملك.
- 3-المولى سليمان: 1792-1823م. أمضى معظم أيامه في محاربة المعارضين لحكمه وخاصة بربر الأطلس الملتفين حول "أبي بكر أمهاوش"، وكان آخر قراراته تعيين ابن عمه عبد الرحمان هشام نائبا له على فاس، فخلفه على العرش بعد وفاة بمراكش¹³⁰

3-العصر السياسي الثالث: 1824-1894م:

1-المولى عبد الرحمن: 1823-1859م.

2-سيدي محمد بن عبد الرحمن: 1859-1873م.

3-المولى حسن 1873-1894م: وجه اهتماماته من إدخال تحديثات على النظام بما تقتضيه متطلبات العصر.¹³¹

الخلاصة:

بناء على ما سبق، يمكننا أن نستنتج من الأحداث السياسية التي عصفت بالمغرب الأقصى خلال عهد الأسرة العلوية الشريفة بروز الصراعات الأسرية والتجاذبات العرقية والدينية كان أبرزها الصراع الدامي بين أفراد الأسرة العلوية الحاكمة والتي غالبا ما كانت تنتهي بمقتل أحد أطراف الصراع، بالإضافة إلى الصراع الدموي مع الزاوية الدلائية الذي كان من نتائجه القضاء على الزاوية وتشتيت أتباعها بما في ذلك طمس لهويتها الدينية وتاريخها السياسي

الكبير، على عكس المكانة التي حظيت بها من قبل الحكم السعدي للملكة.¹³²

¹²⁹ عبد الرحمن بن زبيد العلوي، العلاقات السياسية..... مصدر سابق، ص 60.

¹³⁰ محمد الأخضر، محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب..... المرجع السابق، ص 275.

¹³¹ أبو الحسن علي الحسني، الندرومي، أسبوعان في المغرب الأقصى..... مرجع سابق، ص 49.

¹³² عبد الرحمن بن زبيد العلوي، العلاقات السياسية للدولة العلوية..... مصدر سابق، ص 49.

العلاقات السياسية بين الجزائر خلال عهد الأسرة العلوية:

لقد مرت العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية والأسرة العلوية في عهد السلطان المولى إسماعيل بمرحلتين هامتين هما:

مرحلة المولى إسماعيل: تميزت هذه المرحلة بالمواجهة العسكرية والصدام المسلح مع الجزائر العثمانية ، بشن المولى إسماعيل عدة غارات على الحدود الغربية للجزائر العثمانية وتجاوز خط الحدود وهو نهر ملوية الذي حدد وفق معاهدة الحدود الممضاة سنة 1065هـ/1654م مع أخيه السلطان محمد الأول (1632م/1664م)¹³³ واعترف بها أخوه السلطان المولى الرشيد (1666م/1672م) ومن مظاهر هذه المرحلة المتوترة في العلاقات الجزائرية المغربية نذكر: تاريخ علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى في العصر الحديث خلال فترة السلطان المولى إسماعيل العلوي (1727-1672) تكتسي أهمية خاصة حيث حكم هذا السلطان المغرب الأقصى فترة طويلة تجاوزت النصف قرن¹³⁴، استطاع من خلالها تثبيت ركائز دولته في المغرب، وباتت الدولة العثمانية ممثلة في إيالة الجزائرية تخشى طموحه وتوسعه الإقليمي، وظلت مشكلة الحدود بينهما تعكر صفو العلاقات، فدفعت بالسلطين الأوائ لللدولة العلوية من انتهاج سياسة توسعية على حساب المناطق الغربية التابعة للجزائر العثمانية. فقد أغار السلطان محمد الأول على تلمسان وعلى الأغواط وعين ماضي والغسول ونهب تلك القرى واستولى على أموالها مما دفع بالأتراك العثمانيين أن يردوا بالقوة العسكرية على هذه التهديدات¹³⁵.

*1- غزو مولاي إسماعيل للصحراء الجزائرية 1676م:

ترك المولى إسماعيل مدينة تلمسان عن يساره وذهب موعلا في الصحراء مستقطبا القبائل وعاد بهم إلى أن وصل نهر الشلف، و على الضفة المواجهة للنهر فاجأهم القوات الجزائرية بنيان المدفعية فانهزم الجيش المغربي.

¹³³ عبد الكريم الفيلاي: التاريخ السياسي للمغرب الكبير،.....مصدر سابق، ص 98.

¹³⁴ محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفرائي: نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 1998، ص 42.

¹³⁵ نفسه، ص 44.

-في سنة 1692م: اجتازت قوات سلطان المغرب مولاي إسماعيل الحدود الجزائرية فما كان من الداوي شعبان إلا أن يعلن الحرب ضد سلطان المغرب، فجهز عشرة آلاف من المشاة، والتقى الجمعان في مكان يسمى "المشارع" على نهر ملوية تكبد فيها الجيش المغربي خسائر جسام¹³⁶.

*2- تحالف المولى إسماعيل وباي تونس ضد الجزائر 1694م

استغل المولى إسماعيل توتر العلاقات بين الجزائر وتونس، وعقد تحالفا مع الباي "مراد" الذي حاصر مدينة قسنطينة سنة 1700) ليشن هجوما على الحدود الغربية للجزائر فقرر الداوي الحاج مصطفى (1700-1705) مهاجمة التونسيين وسحقهم، ثم تحرك قاصدا جيش مولاي إسماعيل الذي جمع حشودا قدرت باثنين وعشرين ألف مقاتل وبعد قتال ومطاردة هزم مولاي إسماعيل بعد أن فقد خمسة آلاف قتيل¹³⁷. وغنم الجزائريون غنائم كثيرة ومن بينها فرس السلطان مولاي إسماعيل، الذي أهداه الجزائريون للملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" فيما بعد هذا التحالف الذي وردت إشارات عنه في الرسالة التي بعث بها "الداوي شعبان" (1689م-1695م)، إلى الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" بتاريخ 1 سبتمبر 1694م.¹³⁸

*3- حملة المولى إسماعيل على وهران سنة 1701م.

توجهت حملة السلطان المغربي إلى وهران لضمها للمغرب، في حالة استخلاصها من الأسبان، بقوة قدرت بعشرة آلاف من المشاة وثلاثة آلاف فارس وكانت الفرصة مواتية للجزائريين لو أنهم وجدوا القابلية للتعاون مع سلطان المغرب ووجدوا جهودهم ضد الأسبان، لفتحت وهران قبل الفتح النهائي بسنين عديدة فاعترضت الحامية الجزائرية المجاورة لوهران قوات مولاي إسماعيل وباغتتها بمدافعها على نهر ملوية، وألحقت بالقوات المغربية خسائر كبيرة في الأرواح.

¹³⁶ محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة

النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 1998، ص42

¹³⁷ عبد الكريم الفيلاي: التاريخ السياسي للمغرب الكبير..... مصدر سابق، ص112.

¹³⁸ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج9، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري

الناصر، دار الكتاب، الدار البيضاء 1955، ج7، ص31.

تعرض مولاي إسماعيل لهزائم عديدة أمام الجزائريين كلما فكر في اختراق الحدود بين البلدين، لذلك أفتنع بفكرة السلم والتعايش بين البلدين وأن وادي التافنة تعتبر الحدود بين البلدين، فالتجأ إلى السلطان العثماني مستثمرا العلاقات الودية بينهما لعله يستطيع التأثير على إيالة الجزائر¹³⁹ وهذا ما توضحه الرسائل المتبادلة بين مولاي تقديم شكوى بإيالة الجزائر للباب العالي: بدأت مساعي السلطان المغربي نحو - إسماعيل والسلطنة العثمانية السلطنة العثمانية مذكرا إياها بالتجاوزات المستمرة لحكام الجزائر، والتي تسيء إلى العلاقات المغربية العثمانية، لذا بعث برسالة للسلطان العثماني محمد الرابع (1648-1687م) مؤرخة في 5 أوت 1683م يخبره بصنيع رجاله في الجزائر ويذكره بمعاهدة "التافنة" التي ترسم الحدود بين الدولتين¹⁴⁰، وقد كان موقف السلطان متفهما ومؤكدا الميل (العثماني بخصوص الشكوى بأهل الجزائر التي ادعى فيها) للسلام والاحترام بقوله: «إن إيالة الجزائر عند أمره ونهيه» السلطان فجاء الرد من السلطان العثماني في رسالة مؤرخة سنة 1725م يطلب فيها السلطان من المولى إسماعيل السماح والعفو عن الجزائريين ويهدد السلطان العثماني إيالة الجزائر في حالة الاعتداء على المغرب الولي أن قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسى وخطابكم لأننى¹⁴¹ كُنّا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر ولا أنهى إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ولا عرفنا ما صار عندهم ولأماهم عليه..... وقد بلغنا أنهم معكم وإننا لا نرضى منهم ذلك¹⁴².

¹³⁹ عبد الكريم العمراني: "سياسة مولاي إسماعيل الخارجية"، في مجلة البحث العلمي، عدد 4 و 5، السنة الثانية، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1965، ص 300..

¹⁴⁰ عبد الكريم العمراني، سياسة مولاي إسماعيل الخارجية.....مرجع سابق، ص 312.

¹⁴¹ عبد الرحمان بن زيدان: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة المطبعة الاقتصادية، الرباط 1937، ص 11

¹⁴² المصدر نفسه، ص 15.

6- المحاضرة: السادسة:-تطور نظام الحكم في تونس:

عرفت أنظمة الحكم المحلي بالمغرب الإسلامي منذ مستهل القرن السابع عشر تطورا ملحوظا من حيث الأجهزة الإدارية والأنظمة السياسية والعسكرية، وتبلور الكيان السياسي لكل من الجزائر وتونس وطرابلس الغرب في إطار الرابطة العثمانية وتحولت هذه الأخيرة من التبعية المباشرة لاسطنبول إلى صلة تعاون وتضامن وظل حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب منضوين تحت راية السلطان العثماني.

مع مطلع القرن السادس عشر تم تحرير تونس من الاحتلال الإسباني الصليبي للسواحل والمدن بفضل جهود خير الدين وإخوة برباروس منذ هذه الفترة أصبحت تونس إيالة عثمانية وتابعة لها، وأصبح لخير الدين وباقي بلربايات الجزائر حق التصرف المطلق في منطقة الجزائر كلها مع الإشراف على ما يليها شرقا إلى الحدود المصرية بما في ذلك ولاية تونس".¹⁴³

ومن هذا المنطلق ظل حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب منضوين تحت راية السلطان العثماني ولم يترددوا في استخدام قوتهم لحماية مصالح الدولة العثمانية والدفاع عن حدودها وبذلك أصبحت علاقات ولايات المغرب بالباب العالي مجرد روابط روحية.

*الحكم العثماني في تونس:

رأى العثمانيون ضرورة ضم تونس في ظل ضعف لحكم الحفصي وتزايد الحملات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا، فبعد وفاة أبو عبد الله محمد الخامس "1526/1493م" خلفه ابنه أبو عبد الله الحسن الحفصي "1543/1526م الذي اشتهر بسفكه للدماء، وضجر منه السكان لكثرة ظلمه مما مهد الظروف للعثمانيين لضمها في ظل تزايد التحرشات الإسبانية.

¹⁴³فاضل بيات:الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الإدارة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا. مطلع العصر العثماني-أواسط القرن التاسع عشر. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 577

1- جهود خير الدين بربروسة في مواجهة الأسبان

كلف خير الدين بالعمل على ضم تونس وضع حد للتحركات الإسبانية من طرف السلطان سلمان القانوني وصد هجمات "أندريا دوريا الجنوي" 1560/1466م وذلك بغرض ضمان أمن مصر وحمايتها من المخاطر المحدقة بها ، وفرض السيطرة العثمانية على السواحل الشمالية لإفريقيا من جهة أخرى¹⁴⁴.

سنة 1534م خرج خير الدين بمراكبه قاصدا تونس، توجه أولا إلى بنزرت واستولى عليها ودخل بذلك أهلها تحت طاعته، ثم تونس سنة 1535م وأعلم الأهالي بقدمه لعزل السلطان الحسن الذي كان متهاونا مع الأسبان، ونصب الحسن الرشيد بدله وبذلك فرض سيطرته على تونس وميناء حلق الوادي.

اعتبر الأسبان سقوط تونس في يد الإمبراطورية خطرا مباشرا عليها وعلى مصالحها في الحوض الغربي من المتوسط والذي يدخل في الإستراتيجية العثمانية، لذلك توجه شركان على رأس حملة عسكرية كبيرة اشترك فيها فرسان مالطة، والبحرية البابوية وأحاطت اسبانيا هذه الحملة بسرية تامة بهدف مفاجأة خير الدين والسلطة العثمانية.

رسى الأسطول الاسباني قرب ميناء حلق الوادي جوان 1535م وبدأت قواته البالغ تعدادها 400 سفينة و26000 جندي في قصف القلعة وفي شهر جويلية 1535م سقطت تونس في يد القوات الإسبانية المتفوقة بسلاح المدفعية ، وارتكبت هذه القوات مجازر رهيبة في المدنيين العزل وأسرنحو عشرة آلاف من المدنيين أغلهم من الأطفال و النساء، كمال قامت القوات الإسبانية بهديم المدارس والمساجد و حرق الكتب الإسلامية ونهبوا المدينة قبل الانسحاب منها، ثم تركوا فيها قوة عسكرية قوامها أربعة آلاف من الجنود وبناء قلعة حصينة في ميناء حلق الوادي.

أورد احمد بن أبي ضياف ما مفاده: "أن الصبنيول اشترطوا على هذا السلطان(الحسن الحفصي)استباحة البلاد ثلاثة أيام والتزم بذلك، فبينما الناس في سكون وعافية واغترار يجلب ذلك الأمان، وأسواقهم مفتوحة إذ هجم عليهم عسكر

¹⁴⁴ (فاضل بيات: الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الإدارة ف....مرجع سابق، ص580).

الصبنيول على حين غفلة وامتدت أيديهم لاغتيال الأنفس ونهب الأموال، وفر إلى جبل زغوان من أمكنته الفرصة بنفسه وأهله¹⁴⁵

و من الأسباب التي جعلت خير الدين غير قادر على صد العدوان الاسباني هي انشغال السلطة العثمانية بحروبها في المجر والنمسا مما استحال عليهم إرسال قوات لدعم خير الدين في حربه ضد الأسبان.

بعد معركة ليبانتو عين "علج علي" قائدا للأسطول العثماني مع احتفاظه بلقب بيلرباي الجزائر، وقد كلف بإعادة بناء الأسطول العثماني وتشكيله بشكل أفضل، وفي سنة 1574م توجهت قوات من الجزائر والقيروان وطرابلس الغرب وانضمت إليها قوات "سنان باشا" إلى حلق الوادي وتمكنوا من دخولها واحتلال القاعدة الاسبانية. واصل سنان باشا زحفه للسيطرة على تونس التي لم تصمد أكثر من ستة أيام بسبب الحصار الشديد الذي فرض عليها، ثم تمكن من إخضاع باقي الأقاليم التونسية وإعلان نهاية الحكم الحفصي سنة 1574م، ونقل آخر سلاطينه إلى سطنبول وبذلك أصبحت تونس إيالة عثمانية منذ 1574م وعين "سنان باشا" واليا عليها وأصبحت تونس جزء لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية.

أولا: الأسرة الحسينية في تونس:

دخلت البلاد التونسية مرحلة من الضعف في عهد البايات المراديين الذين ساهمت سياستهم الخاطئة في إضعاف الجيش التونسي وخلق فجوة كبيرة بين السلطة والرعية التي كانت تمارس عليها كل الممارسات التي تفرض على المغلوب¹⁴⁶، وبدأت نهاية الحكم المرادي وشيكة خاصة بدخوله حربا مباشرة مع الجزائر سنة 1705م وأسره من طرف الجيش الجزائري لتدخل بعدها ونس مرحلة الاضطرابات والعنف والخراب، ونتيجة لذلك أجمع النواب الأمة وكبار العلماء من الديوان وعينوا "آغا الصبايحية الترك حسين بن علي تركي في جويلية 1705م"¹⁴⁷.

¹⁴⁵ بن أبي ضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار الملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص14.

¹⁴⁶ الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تح، محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2012، ص238.

¹⁴⁷ الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية.....مصدر سابق، ص240.

يمتد الحكم الحسيني من 1705-1957م، تناوب على العرش تسعة عشر بايا، وهي أسرة يعود أصلها إلى جزيرة كريت شرق المتوسط، ومن أهم بايات تونس الحسينيين:

الباي: حسين ابن علي تركي 1705-1740م.

الباي: علي باشا 1734-1756م.

الباي: محمد الرشيد 1756-1758م.

الباي: علي باشا الثاني 1781-1859م.

الباي: حمودة باشا: 1782-1814م. اتبع الباي حمودة باشا سياسة المهادنة والمعاملة المثلث في الحكم، ومن أبرز المظاهر هذه السياسة محاولة حل الخلافات والمنازعات بين أفراد الأسرة الحسينية، كما أعتمد مبدأ الشورى في مختلف المسائل إرضاء لأتباعه ووزرائه في البلاد وخصوصا أبناء عمومته¹⁴⁸

و من جهة ثانية، كان حمودة باشا شديد البطش على مخالفيه حذرا مترقبا لكل ما حوله. توفي حمودة باشا يوم عيد الفطر 1229هـ الموافق 16 سبتمبر 1813م بعد ثلاثة وثلاثين سنة من حكم تونس¹⁴⁹.

من المعلوم أن نظام الحكم في تونس كان وراثيا غير أن هذه القاعدة لم تحترم في كثير من المواضع في تاريخ الأسرة بسبب انعدام الورثة الشرعيين، أو حالة التمرد وعدم قبول البيعة من قبل أفراد معينين واستيلائهم على السلطة بتغلب الجيوش.

التمردات التي عمت التراب التونسي ساهمت بشكل كبير في تردي الأوضاع الداخلية من جهة وتوتر خارجي وخاصة العلاقات مع دول الجوار وخاصة الجزائر التي كانت في صورة أحداث المتتالية في تونس، غير أن لم يمنع من مرور فترات هدوء واستقرار لحنكة البايات وقدرتهم على التحكم في الأوضاع.

¹⁴⁸ رشيد الامام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الامريكية، بيروت، د.ت. ص 164.

¹⁴⁹ أجند بن أبي ضيفاء، إتحاف أهل الزمان.....ج3، مصدر سابق، ص 88.

1/تأزم العلاقات بين الجزائر وتونس

لم تكن علاقات الجزائر بإيالة تونس حسنة وودية على مر الفترات التاريخية بل كانت سيئة في كثير من الأحيان بسبب أن باشاوات الجزائر يعتبرون تونس إقليمًا تابعًا لهم وأن تعيين باشاوات تونس من اختصاص بلديات الجزائر، وعلى هذا الأساس كانت الجزائر تحاول باستمرار أن تجعل هذه التبعية حقيقة ملموسة، في حين كانت تونس ترفض ذلك وترى أنها إيالة عثمانية مثل الجزائر وأكثر من ذلك كان لتونس أطماعًا في إقليم قسنطينة منذ العهد الحفصي.

تجددت المواجهات العسكرية بين الإيالتين المغربيتين الجزائر وتونس سنة 1590م و1695م و1705م حين قامت تونس بقطع الإتاوات السنوية التي كانت تؤديها للجزائر تتألف مقدار من المال ومقدار من الزيت والسمن والصابون، ولم تفلح وساطة السلطان العثماني في تخفيف من حدة الخلاف والصراع بين البلدين.

قامت قوات تونس بالتوسع على حساب إقليم قسنطينة غير أن الجيش الجزائري فاجأ المعتدين بمدينة "الكاف" وهزمهم وأسرباي تونس إبراهيم وأخوه محمد ثم حاصر مدينة تونس حصارًا شديدًا قرابة شهرين ثم تخلص منها بمقتضى خطة سياسية صدرت بتدبير من الباي حسين علي تركي رئيس الأسرة الحسينية.

-تونس خلال فترة حمودة باشا:

أدى الخلاف والصراع بين الجزائر وتونس في عهد حمودة باشا إلى حرب معلنة بين الجانبين. حاول "حمودة باشا" خلق صعوبات ومشاكل لحكومة ودايات الجزائر التي كان يناصبها العداء بسبب الحروب المستمرة التي كانت بينهما.

كان ملوك تونس يبعثون مركبا محملا بالزيت وبعض الهدايا الرقيقة كل سنة إلى ملوك الجزائر فقطعوها في عهد حمودة باشا،¹⁵⁰ فاشتعلت الحرب بين البلدين، فبعث أحمد باشا المراكب الجهادية ليأخذوا ما وجدوه من مراكب تونس إلى أن يدفعوا ما عليهم من العادة التي ألزم بها ملوكهم بملوك الأتراك بالجزائر ولما أحس "حمودة باشا" بالقوة بسبب ضعف حكام الجزائر والقليل بينهم، صار يتعلل على أهل الجزائر وأخذ في إزالة ما اعتادوه من التعدي الذي أنه صاحب الجزائر أو قسنطينة¹⁵¹ يشتري الأنعام ويبعثها إلى البيع بتونس بثمن يلوح بالإشارة إليه، فيتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما أتى من الجزائر أو قسنطينة والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تزعم رعاته أنه سرق منهم في أرض تونس فيزداد ثمنه على الثمن المطلوب.¹⁵²

تقدمت القوات التونسية وحاصرت قسنطينة 1807م مدة سبعة عشر يوما ولم تتراجع إلا بعدما وصلت الإمدادات العسكرية من مدينة الجزائر بقيادة صالح باي، ومن جهة أخرى تعددت الهجمات البحرية الجزائرية على السواحل التونسية في عهد الرايس حميدو 1818م حتى أمكن التوصل إلى عقد معاهدة لضبط الحدود بين البلدين بوساطة السلطان العثماني لكن المعاهدة لم تستطع محو الآثار السلبية التي تركها النزاع المزمع بين البلدين مما أثر في موقف باي تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

¹⁵⁰ أحمد بن أبي ضياف، إتحاف أهل الزمان..... ج3، مصدر سابق، ص 89.

¹⁵¹ أحمد بن أبي ضياف، إتحاف أهل الزمان..... ج3، مصدر سابق، ص 91.

¹⁵² نفسه، ص 93.

7- المحاضرة: السابعة : تطور نظام الحكم في طرابلس:

ظهرت أطماع الاسبانية مبكرا لاحتلال طرابلس لاستكمال حلقة احتلال الحوض الغربي للمتوسط وإبعاد الإمبراطورية العثمانية عنه، وفي 1510م تمكنت القوات الاسبانية من احتلال مدينة طرابلس الساحلية بعد قتل أكثر من ستة آلاف من السكان المحليين بعدما أحرقت المساجد والمباني السكنية.

في سنة 1513م تنازل ملك اسبانيا عن طرابلس لنائبه بجزيرة صقلية وأصبحت تابعة لها إداريا الذي قام بجلب العائلات الصقلية لاستقرار والاستيطان بها وقد منحهم البيوت والأراضي الزراعية وأعفاهم من الضرائب.

في هذه الظروف برز القائد العسكري "درغوث باشا" الذي عمل على تأسيس إمارة تكون قاعدة له اتخذها قاعدة لضرب الموانئ الاسبانية وعرقلة النشاط الأوروبي وطرد فرسان مالطا من طرابلس الغرب.¹⁵³ أمر السلطان العثماني بتجهيز حملة مهمتها تحرير طرابلس الغرب وطرد فرسان مالطا منها، وتم الاستعداد لها في سرية تامة انتهت في صيف سنة 1551م تكون الأسطول العثماني من 140 سفينة حربية و 3000 جندي انكشاري بقيادة سنان باشا يساعده صال راييس ودرغوث باشا الذي أسندت إليه قيادة بعض السفن الأخرى¹⁵⁴.

وفي 05 أوت 1551م ظهر الأسطول العثماني أمام طرابلس الغرب التي هي الهدف الرئيسي للحملة، ونزلوا بتاجوراء، وأمام هذه القوة لم يكن فرسان مالطا قد أخذوا جميع احتياطاتهم الكافية للتصدي لهذه الحملة، والواقع أن حامية فرسان مالطا كانت ضعيفة ومعزولة عن الاستنجاد الخارجي لانشغال الأمراء بحروبهم الداخلية¹⁵⁵.

لم يستطع فرسان مالطا الصمود أمام القوات العثمانية فبدؤوا الانسحاب من القلعة بسبب قوة النيران قللة المياه. تمكن القائد العثماني سنان باشا من هزيمة الفرسان وطردهم نهائيا من طرابلس الغرب، وفي 16 أوت 1551م احتفل السكان بفتح مدينتهم بعدما أصبحت خرابا وأخبارا لتلك الفضائع والمجازر.

¹⁵³ عبد المنعم الجميبي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دارالاعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص28

¹⁵⁴ محمد علي عامر ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق للنشر والتوزيع، ج2، دمشق، 2000، ص161

¹⁵⁵ أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001، ص132.

استمر الحكم العثماني لطرابلس إلى أن قام فيها حكم مستقل داخليا بزعامة الأسرة القرمانيّة من سنة 1711-1835م حيث انتشرت الفوضى من جديد من طرف جنود الانكشارية للسيطرة على الحكم ومنصب الوالي على البلاد¹⁵⁶.

*1- تأسيس الأسرة القرمانيّة

إن طول الفترة التي قضاها العثمانيون في ليبيا من منتصف القرن 16م أدى إلى ازدياد الفئات الاجتماعية القادمة من "قرمانيا"، وكان هذا أثر كبير في اختلاط وتصاهر نساء عربيات بالجيش الانكشاري، ونتج عن هذا التصاهر الاجتماعي إلى ظهور "فئة القولوغولية"¹⁵⁷

مع بداية القرن 18م شكلت الفئة القولوغولية مركزا متميزا وكانوا يتطلعون إلى السلطة، وكان أغلبهم يستقرون في ضاحية المنشية بطرابلس، وكانت هذه الفئة أقرب إلى مصالح السكان المحليين، وكانوا يمتنون الزراعة والحرف و التجارة والخدمة العسكرية التي كانت تنتقل إليهم بالوراثة مقابل حقوق و امتيازات يتحصلون عليها كالإعفاء من الضرائب¹⁵⁸

تميزت فئة القولوغولية عن فئة الأتراك بتقربها إلى العرب و البربر الذين يكونون الأغلبية العظمى من سكان طرابلس و الساحل، بالإضافة أنهم يتميزون بقدرتهم على فهم مشاعر السكان المحليين وحاجاتهم¹⁵⁹.

وهكذا تمكنوا من تأسيس الأسرة القرمانيّة التي تزامن ظهورها مع ظهور الأسرة الحسينية¹⁶⁰ بتونس التي تأسست سنة 1705م إلى غاية 1956م.

¹⁵⁶ طاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي للنشر والتوزيع، ط4، لبنان، 2004، ص195

¹⁵⁷ هي طبقة اجتماعية جديدة نتجت من أن درغوث باشا ثاني ولاية الأتراك أحضر معه عدة آلاف من الجند الانكشارية، وبمرور الزمن اختلطوا بالأمازيغ وتناسلت، فتكونت طبقة القولوغولية التي كانت قليلة العدد في أول الأمر، ثم سرعان ما تكاثرت وزاد نفوذها لما تحصلوا عليه من امتيازات عسكرية ومالية.

¹⁵⁸ بروشين نيكولاوي إيلتسين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن 16م حتى مطلع القرن 20م، ط1، 2001، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، د.ت.، ص105.

¹⁵⁹ روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط1، 1974م، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، مصر، د.ت.، 223.0

-تأزمت العلاقة بين أحمد القرماني بالسلطان العثماني بسبب اختيار أهل طرابلس له حيث أحس السلطان أن هذا الاختيار مفروض عليه، وهذا الأمر أدى إلى تأزم العلاقة بينهما لكن السلطان العثماني أصدر فرماناً أقرب ولايته على طرابلس الغرب ومنحه لقب "بكلربكي" وجعل حكمه وراثياً في أسرته، وسيطر بالتالي على الحكم سنة 1711م.

قام أحمد القرماني بتوحيد الأقاليم الليبية الثلاث: فزان، طرابلس، برقة، كما أنه أعاد نشاط القوافل التجارية البرية من فزان شمالاً إلى مناطق غرب أفريقيا والسودان جنوباً.

اعتمد أحمد القرماني أسلوب النظام المركزي في التسيير الحكم وإحكام قبضته على السلطة، كما قام بتقسيم المناطق إلى إقليم شرقي وإقليم غربي، ومن أهم أعماله تعمير طرابلس الغرب، وأنشأ بها جامعاً عظيماً يحمل اسمه، كما أولى عناية كبيرة بشؤون الدين، كما حرص أن تكون السلطة الإدارية وفق الشريعة الإسلامية¹⁶¹

ودام حكمه لطرابلس الغرب حوالي أربعة وثلاثون سنة من 1711 إلى 1745م وقد تمكن خلال هذه الفترة من تثبيت حكم أسرته وتأكيد سيطرتها على البلاد وتحقيق وحدتها وتمكن من القضاء على الفتن وثورات جنود الانكشارية ليتنازل بعد ذلك عن الحكم لصالح ابنه محمد¹⁶²

1- *العهد العثماني الثاني: 1835-1911م:

أصبح حكم طرابلس في هذه الفترة خاضعاً للحكم المركزي المباشر التابع للسلطان يديره باشا معين من الخليفة العثماني. وتمكن العثمانيون من إعادة السيطرة على طرابلس رغم رفض الأهالي لهذا القرار، ونهاية حكم النظام القرماني لم يكن يعني في واقع الأمر الخضوع الفعلي للسياسة العثمانية، فقد كانت القوى المحلية بزعامة مشايخ القبائل¹⁶³

¹⁶⁰ أسرة تولت الحكم بتونس بعد الفتح العثماني والتي أعقبت الأسرة المرادية، وذلك سنة 177هـ/1705م.

¹⁶¹ خالد يوسف وليد، حكم الأسرة القرمانية في ولاية طرابلس الغرب، 1711-1835م-مجلة جامعة تكريت للعلوم، العدد: 06، حزيران 2012، ص 285.

¹⁶² الشيخ رأفت، تاريخ العرب الحديث والمعاصر،.....مرجع سابق، ص 305.

¹⁶³ نذكر منها: الشيخ غومة بن خليفة المحمودي، وعبد الجليل ابن غيث بن سيف النصر من الموالين ليوسف باشا القرماني والمعارضين لحكم العثمانيين.

نذكر منها: الشيخ غومة بن خليفة المحمودي، وعبد الجليل غيث بن سيف النصر اللذان كانا من الموالين للحكم القرمانلي والمعارضين للحكم العثماني المباشر وهي التي مارست سيادتها على مجمل مناطق البلاد وأبانت عن رفضها للتواجد العثماني بسبب فشلها في انتهاج سياسة حكيمة اتجاه السكان والزعامات القبلية والدينية الأمر الذي ادخل البلاد مرحلة من الصراع الدموي بين القبائل والسلطة العثمانية.

لقد اتسم العهد العثماني بالفوضى و الظلم وسلب أوال الأهالي وعدم التقيد بأي شرعية إلا ما تمليه إدارة الوالي، ففي كثير من الأحيان قام زعماء القبائل بالثورة على الولاة يفرضون عليهم الضرائب"، وكل من يعجز عن دفع الضريبة¹⁶⁴ كان يتعرض لعقوبة وحمله إلى السجن على ظهر جمل، أو يربطونه في ذيل حصان ويجر إلى السجن، وإذا لم يتعرض إلى هذا النوع من العقاب تترك له مهلة دفع الضريبة¹⁶⁵

تولى حكم طرابلس المركزي ثلاثة و ثلاثون (33) واليا في فترة لا تزيد عن سبعة و سبعون (77) سنة نتيجة إهمال شؤون العامة والاهتمام بشؤون الولاة والقادة العسكريين من الانكشارية.

¹⁶⁴ الزاوي الطاهر أحمد، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي، ط1، 1980، دار الفتح، بيروت، لبنان، د.ت.

ص151.

¹⁶⁵ الشيخ رأفت، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، عين الدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، الهرم، القاهرة، د.ت، ص299.

8- المحاضرة الثامنة: -علاقات الأقطار المغاربية الخارجية:

1-المشرق العربي.- وأفريقيا:

نظرا لكون الأقطار الثلاث، الجزائر وتونس وليبيا كانوا تحت الحكم العثماني، ونظرا لوجود الحدود المشتركة، : وكذلك لغياب التهديدات الخارجية نسبيا، فقد كانت التبادلات الاقتصادية بين هذه الأقطار أفضل من نظيرا الغربية العلاقات الاقتصادية بين إيالة الجزائر وتونس.-

وعلى عكس العلاقة السياسية بين سلطتي القطرين، التي تراوحت بين المد والجزر، وأساسا بسبب تطلع باشاوات : الجزائر للاستفادة من خيرات تونس، وفرض الجباية عليها، نتيجة بعض المواقف التاريخية، فإن العلاقة الاقتصادية بين الشعبين كانت في أفضل حالا. بفضل حالة الاستقرار والرخاء التي نعم الشرق الجزائري، وتوفر عدة أسواق مزدهرة كبيرة، وكذلك بفضل الحركية الاقتصادية في تونس، التي تمثل حلقة وصل مع المشرق ومع أوروبا، خاصة في حالات الحصار الطويلة التي كانت تتعرض لها مدينة الجزائر.

كما كانت الأوضاع الاقتصادية بداية الحكم العثماني مزدهرة بعض الشيء، وكانت البلد وسطا بين النموذج الزراعي و الرعوي، وظهر الازدهار في الموارد البلاد الداخلية من صناعة الجلود والذهب وزراعة وتبادل تجاري مع البلدان المجاورة إضافة إلى الاهتمام بالنشاط البحري.¹⁶⁶

●:التبادل التجاري مع تونس

في الوقت الذي كانت التجارة الخارجية مع أوروبا عبر الموانئ، محتكرة من قبل الأجانب، فقد كانت تونس هي أقرب الأسواق الخارجية إلى الشرق الجزائري، وفرصة أهالي بايلك قسنطينة من تليين وصحراويين لتصريف منتجاتهم وللقيام بهذا النشاط كانت هناك مراكز رئيسية تنطلق منها القوافل وتعود إليها، والحصول على حاجتهم من السلع وأهمها: قسنطينة والوادي و توقرت و ورقلة، وكانت المواصلات بين هذه الأسواق الرئيسية والأسواق المقابلة لها في الطرق التجارية مع تونس. تونس منظمة تنظيما دقيقا بحيث أن التاجر يجد يوميا، قافلة يسافر معها ذهابا وإيابا

انعام محمد شرف الدين، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي، دراسة فيلا مؤسسات المدينة التجارية، 1711-1835م، ليبيا، 1988، ص19.¹⁶⁶

عرفت المبادلات التجارية بين إيالة الجزائر وبين إيالة تونس وجود أربع طرق تجارية رئيسية

طريق تونس الذي يبدأ من مدينة قسنطينة، ويسير نحو الجنوب قليلا ليمر بالخروب ثم يرتفع نحو الشمال ليعبر - كثير من القرى مثل وادي زناتي ومجاز عمرو وسوق أهراس، قبل أن يصل إلى مدينة الكاف التونسية ومنها يواصل إلى عاصمة الإيالة التو وكانت رحلة القوافل عبرها الطريق تستغرق مدة خمسة وعشرين يوما عاديا، وكان ثمن كراء البغال يتراوح بين 15 و25 فرنكا، في رحلة الذهاب و30 إلى 40 فرنكا¹⁶⁷ في رحلة الإياب، بسبب عودة التاجر بسلع طريق قفصة ونفطة، الذي ينطلق من مدينة الوادي، ويتجه شمالا نحو قمار، ثم ينفصل عنه فرع - وفيرة ومريجة يتجه مباشرة إلى مدينة نفطة، ويواصل الطريق الأصلي نحو الشمال الشرقي حيث يصل إلى قرية فرن الواقعة بين الوادي وتبسة، أين يلتحق بالقوافل تجار الزيبان، ثم يتوجه نحو قفصة، وهذا الطريق سهل يتوفر على المياه طريق نفطة وغدامس، الذي ينطلق من توقرت ثم - ويستغرق حوالي إلى نفطة ثلاثة أيام وإلى قفصة خمسة أيام يتجه شمالا ليمر عبر مدينة الفيض التابعة لبسكرة، حيث ينظم تجار هذه الأخيرة إليه، ثم يعود نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين، وبعدها يتفرع إلى فرعين، واحد يتوجه نحو نفطة مباشرة، والثاني يتوجه إلى غدامس مروراً بقرية البئر الجديد، وتستغرق الرحلة إلى نفطة أقل من خمسة أيام بسبب سهولة الطريق وتوفر العمران عبرها، فإن الرحلة طريق غدامس، - إلى غدامس تستغرق أكثر من ذلك بسبب العواصف والكثبان الرملية التي تذهب معالم الطريق الذي يخرج من ورقلة، ويتوجه مباشرة شرقاً عبر الفيافي ليصل إلى غدامس، وهو طريق شاق وصعب، بسبب الكثبان الرملية والعواصف وقلة المياه عبره، حيث لا يتوفر إلا مصدر واحد للمياه خلاله، وتقطع القوافل هذا الطريق في مدة عشرة أيام¹⁶⁸

●: أبرز أسواق التبادل التجاري بين الجزائر وتونس .

قسنطينة، التي كانت عاصمة بايلك الشرق وأكبر مدنه، ولذلك فقد كانت أكبر الأسواق في الشرق الجزائري، يؤمها - التجار من مختلف نواحي الشرق ومن تونس، يجلبون إليها منتجاتهم ويحملون منها المصنوعات والسلع المتوفرة

شعباني نورالدين، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثرها الحضارية-رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات بين القرنين الرابع و التاسع الهجريين/10-15م.¹⁶⁷

لتسويقها في مناطقهم، وقد كانت تنطلق من قسنطينة كل شهر قافلة من ثلاثمائة بغل نحو تونس تحمل إليها: المصنوعات الصوفية والجلدية والمنتجات الزراعية وتستورد منها السلع المحلية والأوربية، وتذكر المصادر أن تجار مدينة الوادي، - قسنطينة كانوا يستعينون من أجل هذا الرحلات المنتظمة باليهود لتعير سلعهم وتحديد أسعارها عاصمة منطقة سوف،¹⁶⁹ كانت تعتبر سوق مهم وغني، يقصده التجار من مختلف الواحات، وأكثر من ثلاثمائة حانوت، وأهم منتجات التمور والتبغ، وكانت الوادي تمثل همزة وصل بين كثير من واحات الشرق الجزائري وبين توقرت: عاصمة إقليم وادي ربيع، كانت مدينة غنية وثرية بفضل توفرها على سوق كبير تؤمه القوافل -المدن التونسية المتوجهة إلى بلاد الجريد، وكان تجار توقرت يحملون إلى تونس التمور والأقمشة الصوفية ويستوردون منها المنتجات غدامس: التي كانت - ورقلة، أكبر مدن الواحات الشرقية، وأحد أغنى أسواق الشرق الجزائري - الأوربية مثل العطور محجا لتجار الجنوب الشرقي الجزائري، لأ كانت ملتقى قوافل تونس وطرابلس والسودان والجزائر، يجد فيها التجار نفطة، عاصمة إقليم الجريد التونسي، وا - حاجتهم من سلع بلاد السودان، مثل ريش النعام والتبر والعبيد والبخور. عدد معتبر من التجار والحوانيت، كان تجار الشرق الجزائري يجدون فيها المنتجات الأوروبية مثل الأقمشة الحريرية¹⁷⁰ تونس: عاصمة إيالة تونس، وكانت تماثل مدينة - قفصة: تقع في الجنوب التونسي، وكانت مركزا تجاريا مهما - الجزائر، بتوفرها على المنتجات الأوربية بسبب توافد السفن على مينائها، وبسبب ممارسة عثمانيتها للجهاد البحري

أهم المواد التجارية المتبادلة مع تونس:

- كانت مدينة قسنطينة تصدر إلى أسواق تونس: الصوف والجلود المدبوغة، والتمور الممتازة، والشواشي، وريش النعام، بينما كانت تستورد المصنوعات الأوروبية، مثل: العطور والتوابل والقهوة والأقمشة القطنية والحريرية، بينما كانت الوادي تصدر إلى نفطة: التمور والتبغ، وتستورد المواد العطرية والأقمشة الحريرية والأسلحة والكبريت. وكانت توقرت تصدر إلى نفطة و غدامس: الأقمشة الصوفية والتمور والمظلات المصنوعة من الجريد، والحبوب والزيوت¹⁷⁰ وتستورد منهما: الأقمشة القطنية والعطريات الأوروبية، والتبر والعبيد وريش النعام والبخور السوداني، أما ورقلة

شعباني نورالدين، علاقات ممالك السودان الغربي مرجع سابق، ص 147.¹⁶⁹

يعي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الطبع، عين الهدى، مليلة، الجزائر، 2009، ص 528.¹⁷⁰

فكانت تصدر إلى غدامس: الأقمشة الحريرية والقطنية و التمور والحبوب والأسلحة، وتستورد منها التبر والعبيد والعاج وابخور السوداني².

العلاقات الاقتصادية بين إيالة الجزائر وليبيا:-

ربطت الجزائر بليبيا إبان العهد العثماني، إضافة إلى العلاقات السياسية، علاقات اقتصادية، قامت على التبادل التجاري بين القطرين، نظرا موعة عوامل جغرافية واجتماعية، أهمها حاجة سكان الجنوب الشرقي الجزائري وسكان المدن الليبية للتواصل وتبادل المنافع، وتحصيل السلع الضرورية لكيلاهم ورغم وجود تبادل تجاري على مستوى البحر، يقوم على تبادل السلع عبر الموانئ¹⁷¹، والذي كان يسيطر عليه اليهود والأوربيين، فقد كان هناك ما عرف أهم الطرق التجارية بين الجزائر. بتجارة القوافل، التي تربط بين حواضر الشرق الجزائري، وبين الحواضر الليبية

●:ليبيا

كانت القوافل التجارية التي تربط بين أسواق البلدين تمر خلال مسالك رئيسية، تتداخل مع الطرق التي تذهب إلى تونس وبلاد السودان، وكانت انطلاقا تلك القوافل تتم من مدن قسنطينة وورقلة والوادي وتقرت وتوات، وكانت تجارة الجزائريين مع طرابلس الغرب تستهدف وجهتين رئيسيتين: مدينة غدامس التونسية، والقريبة من ليبيا، حيث وتمثلت. كان يتجمع تجار السودان وطرابلس وتونس والجزائر، وسوق مدينة غات الصحراوي، سلع السودان وإفريقيا طريق وادي سوف- غدامس¹⁷²، الذي -: أهم الطرق التجارية التي كان يسلكها التجار للحصول على السلع الليبية طريق وادي سوف - غات، - طريق ورقلة - غدامس، الذي سبق شرحه - سبق شرحه في محور العلاقة مع تونس الذي كان طريقا صعبا وشاقا وملينا بالمخاطر، لكن البعض من تجار سوف كانوا يفضلون سلوكه نحو مدينة غات، من أجل جب السلع من مصدرها، وكذلك من أجل تجنب الضرائب التي تفرض عليهم عند الدخول والخروج إلى غدامس، وأيضا بغية تجنب الصراع الدائم مع التجار الغدامسية¹⁷³، وكان التجار السوافة يتجاوزون غات نحو طريق غدامس- عين صالح: والذي - مدينة مرزق أو مرزوق مركز إقليم فزان، حيث يبيعون سلعهم بأثمان أكثر

قويدربشار، القوافل التجارية المغربية وآثارها، مطابع عمارقرفي، أ.ع. ت.ع. ب. باتنة، الجزائر، 2001، ص 17.¹⁷¹
بومدين بوداود، تجارة بني ميزاب تجسيد المنهج الإسلامي في إدارة الأعمال التجارية، دار الرياض للنشر والعلوم والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 86.¹⁷²

06impremerie. Merkouche. Algerie.S.D.p264.:¹⁷³ Mouloud Gaid. Les berbères dans l'histoire les ibadites. T

تستغرق قوافله ثلاثون يوما، حيث كانت عين صالح مقصدا لتجار طرابلس الغرب، من أجل تصريف سلعهم نحو طريق عين صالح - غات: حيث ربطهما طريقان، أحدهما جبلي وعركته مختصر - العديد من الوديان الجزائرية طريق طرابلس - توات: كانت القوافل التجارية - يقطع خلال عشرون يوما، والثاني منبسطة يقطع خلال أربعين يوما القادمة من طرابلس الغرب وفزان وغات، تقصد إقليم توات في طريقها نحو بلاد السودان الغربي ونحو المغرب

●: أهم الأسواق في التبادل التجاري بين الجزائر وليبيا. الأقصى

كما يظهر من شرح الطرق التجارية بين القطرين، فإن أهم المراكز التجارية والأسواق المؤثرة في تجارة البلدين، كانت من الجانب الجزائري كل من: ورقلة ووادي سوف وتقرت وعين صالح وتوات، ومن الجانب الليبي، كل من: مدينة غات، ومرزوق في إقليم فزان، كما مثلت مدينة غدامس التونسية ملتقى مشتركا مهما في تصريف السلع وتلقي تجار كان التبادل التجاري بين التجار الجزائريين والليبيين، في جزء منه يقوم ●: أهم السلع المتبادلة بين البلدين. القطرين على تصريف السلع المحلية الإنتاج بالقطرين، حيث كان الجزائريون يصدرون إلى أسواق طرابلس: القمح والشعير خاصة في فترات الجفاف بليبيا، بالإضافة للشمع والزيت والصوف والأغنام والجمال والتبغ والتمور والأقمشة والمواد العطرية، وكان الجزء الآخر قائم على تصدير السلع القادمة من مناطق أخرى، حيث تمثل الأسواق المحلية فيها مجرد مراكز عبور، فكان الجزائريون يصدرون إلى ليبيا المنتوجات الأوروبية، وفي المقابل كان تجار ليبيا، يمثلون همزة الوصل التبر والعبيد و: بين بلاد السودان وأسواق الجزائر، فكانوا يحملون إليها التبر والعبيد والملح والنحاس والقماش¹⁷⁴

¹⁷⁴ بومدين بوداود، تجارة بني ميزاب تجسيد المنهج الإسلامي.....مرجع سابق، ص 89.

خلاصة:

تمثل التجارة الخارجية مورد هاماً لدخل البلدان من القديم، ومصدراً لتوفير السلع المفقودة محلياً، ونتيجة الظروف الجغرافية والاجتماعية التي ربطت الشرق الجزائري بقطري تونس وطرابلس الغرب، فقد كان لابد أن يكون هناك تواصل بين مراكز الإقليمين وتبادل تجاري استجابة للحاجات الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما خلق حركة كبيرة ومعتبرة، وحول مدناً وأسواقاً محلية، لتصبح مراكز تجارية عظيمة تتوفر مختلف السلع القادمة من أوروبا ومن مختلف أنحاء القارة الإفريقية، وأيضاً ساهم في إنشاء طرق تجارية معروفة ومعلومة تسلكها القوافل الذهبية والقادمة بالسلع.

9- المحاضرة التاسعة -الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلدان المغرب الحديث:

أولاً:-/ الحياة الاجتماعية:

1: الحياة الاجتماعية في الجزائر العثمانية:

قدر عدد سكان الجزائر مع بداية القرن التاسع عشر ثلاثة ملايين نسمة رغم الكوارث الطبيعية والأوبئة التي تعرضت لها البلاد.

1-تركيب السكان: يتوزع سكان الجزائر ما بين الحواضر الذين لا يتعدى عددهم خمسة بالمائة من مجموع السكان، بينما يتمركز غالبيتهم بالريف والجبال والمناطق الداخلية بسبة تقدر خمسة وتسعين بالمائة ، ومع الود العثماني كانت التركيبة السكانية على النحو التالي:

1-1- طبقة العثمانيين الأتراك:

تأتي في أعلى الهرم الاجتماعي رغم قلة عددهم الذي لا يتعدى اثنان في المائة لأنهم يحتكرون السلطة السياسية والعسكرية والاقتصادية، فمنهم الباشاوات، والوزراء، ورياس البحر، وأعضاء الديوان،¹⁷⁵

عاشت فئة الأتراك في عزلة وتكبر وعداء و نفور من السكان المحليين رغم حدوث تقارب بين الطرفين، أما الأتراك المسيحيون الذين اعتنقوا الدين الإسلامي أو ما يعرف بالأعلاج فقد اندمجوا في الطائفة التركية بكل سهولة ونشأت علاقة قوية بين الطرفين، وهناك أيضا أعلاج اعتنقوا الإسلام طواعية فأصبحوا أتراكا مدافعين عن الإسلام والطائفة التركية بالجزائر.¹⁷⁶

1-2- الكراغلة: هم أبناء الأتراك من أمهات جزائريات، لذلك من حصلوا على الامتيازات و المناصب لأنهم أقرب من الجزائريين من الأتراك.

¹⁷⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص 147.

¹⁷⁶ صالح عباد، مرجع سابق، ص 356.

انتشر الكراغلة في أغلب أنحاء الإيالة وبشكل خاص بالحوضر الكبرى كمدينة الجزائر وتلمسان ووهران وقسنطينة وتلمسان التي أصبحوا يشكلون فيها أغلبية السكان، كذلك انتشروا بالأرياف بعد طردهم من مدينة الجزائر بسبب تمردهم على السلطة الحاكمة وجمعوا بوادي الزيتون الواقع عند قدم جبل فليسة، وقد قدر عددهم ما بين ثمانية وعشرة آلاف¹⁷⁷، ورغم حركة الاحتجاج والتمرد ضد السلطة إلا أنهم حققوا بعض المكاسب والامتيازات منها الوصول إلى المناصب العسكرية في البحرية، ومنصب القائد والباي، والتمتع بارتداء الملابس المطرزة بالذهب¹⁷⁸.

1-3- طائفة الحضر:

تتمثل في سكان الحواضر وتشمل العلماء و الفقهاء و القضاة والتجار وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب والإداريين، ومن مهاجري الأندلس وفئة البرانية والبرانية¹⁷⁹.

1-4- فئة المهاجرين الأندلسيين:

أزداد عدد مهاجري الأندلس بعد قرار الطرد الجماعي من طرف الكنيسة المسيحية الاسبانية سنة 1610م، وكان لهؤلاء المهاجرين دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بفضل ما حملوا معهم إلى الجزائر من أموال وحرف وصنائع وفنون في مختلف المجالات وخاصة منها الزراعية ، فادخلوا زراعات جديدة كالقطن والعنب و الحرير الطبيعي وأشجار الفواكه بما في ذلك طرق السقي كالترع المائية، كذلك ادخلوا عدة صناعات مثل صناعة البارود والأسلحة وصناعة السفن وتطوير التجارة¹⁸⁰.

ثانيا: -طائفة البرانية:

تضم كل السكان الذين جاؤوا من خارج المدن أو الأرياف طلبا للعمل مثل مدينة الجزائر التي كان لها عمال غير مقيمين بصفة دائمة بغية تزويد المدينة باليد العاملة كما الحال بالسكريين، والمزابيين، والزواوة، والمزابيين وجميع سكان

¹⁷⁷ حمدان خوجة، المذكرات.....مصدر سابق، ص155.

¹⁷⁸ شالار، مصدر سابق، ص56.

¹⁷⁹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر.....ج1، مرجع سابق، ص149.

¹⁸⁰ حمدان خوجة، المذكرات.....مصدر سابق، ص160.

القدمين من الصحراء الشرقية الجزائرية، ويعمل هؤلاء في الأعمال الشاقة كالحمامات بتوفير المياه من العيون، والمخابز والبناء، والموانئ، والبيوت والقناصل الأجنبية¹⁸¹

ثالثا: طائفة الدخلاء:

تشمل كل الأجانب مثل العبيد المسيحيين والأحرار منهم، بالإضافة إلى اليهود والعبيد السود، ويعمل المسيحيون في السفن البحرية و الموانئ بينما يعمل اليهود بالتجارة¹⁸²

أما العبيد السود فقد دخلوا إلى الجزائر عن طريق التجارة الإفريقية الصحراوية مروراً ببعض المدن الصحراوية الجزائرية، أما العبيد المسيحيون فمصدرهم الجهاد البحري و الحروب البحرية بين الجزائر و الدول الأوروبية مثل اسبانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها، وكان هؤلاء العبيد يعملون في السجون و البساتين و قصور البايات و الدايات وكبار موظفي الدولة أو في التجديف لدى رياس البحر و يختلف عددهم من سنة إلى أخرى حسب نشاط رياس البحر والبحرية الجزائرية، وبلغ عددهم سنة 1830 م بمدينة الجزائر تقريبا عشرة آلاف.¹⁸³

رابعا: طائفة اليهود:

تعتبر أهم عنصر من طائفة الدخلاء من حيث دورهم الاقتصادي الذي لعبوه خلال الفترة العثمانية بالجزائر، فقد تحكم اليهود في التجارة الداخلية والخارجية لأنها هذه الجماعة كانت أقرب إلى الحكام العثمانيين وأصحاب المناصب الإدارية المتحكمة في السياسة والاقتصاد من خلال عملية السمسرة والوساطة في العمليات التجارية¹⁸⁴ وخاصة منها تجارة الحبوب ببابليك الشرق، وأدى الاحتكاري التجاري للعائلات اليهودية إلى تكوين ثروة مالية طائلة على حساب السكان والأهالي الذين أصبحوا يتدمرون من النفوذ اليهودي المتزايد في الجزائر مما أدى إلى نهب الحي اليهودي واغتيال الداوي مصطفى يوم 30 أوت 1805 م بسبب تعامله المفرط مع كبار التجار اليهود وفتح المجال للاقتصاد أمامهم للسيطرة عليه والتحكم

¹⁸¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر..... مرجع سابق، ص 151.

¹⁸² صالح عباد، مرجع سابق، ص 360.

¹⁸³ صالح عباد..... المرجع السابق، ص 365.

¹⁸⁴ صالح عباد، مرجع سابق، ص 364.

في مقدرات التجارة الخارجية في الجزائر العثمانية¹⁸⁵

ثانيا: -سكان الريف:

يشكل هؤلاء أغلبية السكان في الجزائر 95' في المائة، ويعتمدون في معيشتهم على النشاط الفلاحي و الرعوي.. وبسبب النظام الإقطاعي الذي فرضته السلطة العثمانية أصبح الفلاح يأتي في أدنى مرتبة في السلم الاجتماعي بسبب انتشار الفقر والمرض والأوبئة بين أفراد هذه الطبقة.. وبصفة عامة يضم الريف عدة فئات اجتماعية متميزة وهي:

1-الأشراف والمرابطون وقبائل المخزن وقبائل الرعية: تتمتع بامتيازات متفاوتة ويتمتعون بالنفوذ المالي والإداري على مستوى مناطقهم.. فالمرابطون والأشراف يتمتعون بالنفوذ الديني والروحي على السكان لذلك نجد السلطة العثمانية تخشاهم وتتحاشى الصدام معهم وهم بذلك صمام الأمان، وتعترف السلطة العثمانية بسلطتهم على السكان المحليين.¹⁸⁶

ورغم الفوارق الاجتماعية الكبيرة بين الحواضر والريف إلا أن السلطة العثمانية تمكنت من تقوية نفوذها وسلطتها على في الريف الجزائري عن طريق المرابطين والرجال الصوفية وشيخ القبائل المتنفيذين وقادة العشائر الذين يستفيدون من الولاء للسلطة العثمانية الحاكمة¹⁸⁷

أما العلاقة بين سكان المدينة والريف فهي علاقة تبادل المصالح، فالريف الجزائري يقدم منتجاته إلى سكان الحضر، بينما تقدم الحواضر الأدوات والمواد المصنوعة محليا أو المستوردة.¹⁸⁸

-ثانيا: الأوضاع الاجتماعية بالمغرب الأقصى خلال القرنين 18/19 م. ص 99

¹⁸⁵ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2013، ط1، ص75.

¹⁸⁶ جمدان خوجة، المذكرات.....مصدر سابق، ص88.

¹⁸⁷ العربي الزيري، التجارة الخارجية.....مرجع سابق، ص48.

¹⁸⁸ نفسه، ص49.

1- التركيبة الاجتماعية:

المغرب الأقصى ملتقى للكثير من الفئات الاجتماعية و الهجرات السكانية المتلاحقة بحكم الموقع الجغرافي المتميز، ومن أهم العناصر:

1- * البربر: يعتبر العنصر الأصيل في المغرب باتفاق جميع المصادر والدراسات التاريخية والانثروبولوجية التي اتفقت على تسميتهم بالأمازيغ ويمثلون أغلبية السكان، أما بالنسبة لأصلهم فقد اختلفت المصادر في تحديد ذلك فذكر ابن خلدون: " قيل أنهم سامون من ولد عملاق ابن لاوذ ابن أرم ابن سام، وقيل أنهم من ابراهيم عليه السلام، وأنهم عرب يمينيون من ولد نعمان ابن حمير ابن سبأ"¹⁸⁹

2- * العرب: دخلوا المغرب فاتحين في عهد عمر ابن الخطاب، ولعبوا دورا كبيرا في نشر الدين الإسلامي بين السكان الأصليين والمناطق الداخلية الجبلية، وكانوا ضمن جيش طارق ابن زياد فاتح الأندلس"¹⁹⁰

3- * الأندلسيون:

بدأ توافد العنصر الأندلسي بداية سقوط المدن و الحواضر الإسلامية الأندلسية في يد الجيوش الصليبية المسيحية الاسبانية، واتسعت رقعة الهجرة إلى المغرب بعد سقوط آخر قلعة للمسلمين مدينة غرناطة سنة 1492م، ثم مأساة قرار طرد المسلمين النهائي من اسبانيا المسيحية"¹⁹¹ واستقرت هذه الهجرات في مختلف المدن والمناطق خاصة بسلا، تيطوان، فاس، مكناس، مراكش، وأسهموا في بناء المجتمع المغربي."¹⁹²

4- * اليهود:

استوطنوا بلاد المغرب منذ العهد الفينيقي، وبعد قيام القيصر الروماني "تيتوس" بتحطيم معبد القدس سنة 70م، كما وصلت هجرات يهودية كبيرة إلى المغرب بعد الطرد الجماعي لليهود الذي أقرته الكنيسة المسيحية الاسبانية وجعلت

¹⁸⁹ عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج6، ط1، مراجعة: سهيل زكار، 1981، ص116.

¹⁹⁰ محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص38.

¹⁹¹ محمد زروق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا الشرق، ط3، المغرب، 1998، ص56.

¹⁹² نفسه، ص301.

اسبانيا بلدا كاثوليكيًا صرفًا، وبعد ذلك عاش اليهود جنبًا إلى جنب مع المسلمين في ظل التسامح الديني الذي أقره ملوك والسلطين المغاربة.¹⁹³

5- *النصارى:

تعتبر من الفئات الوافدة غالى المغرب الأقصى على عهد الرومان و البيزنطيين، كما وفدت مع مسلمي الأندلس بعد سقوطها في يد النصارى الصليبيين في فئة رقيق مما جعل الكثير منهم يعتنقون الإسلام، وفي العهد العلوي اقتضرت العلاقات المغربية النصرانية في إطار الصراع الإسلامي-المسيحي في حوض البحر المتوسط.¹⁹⁴

6- *السود:

شكلوا فئة المجتمع المغربي منذ أقدم العصور، ومثلت الطبقة المنتجة الأساسية في مختلف الأنشطة الاقتصادية¹⁹⁵، وخلال العصر السلطان أجمد المنصور زاد عددهم بشكل كبير

بعد غزوه بلاد السودان عام 1591م التي أصبحت في عهده جزء لا يتجزأ من الدولة السعدية¹⁹⁶ فكان منهم جيشا نظاميا، وقام بإسكانهم وتزويجهم وعزلهم عن باقي الفئات لضمان الولاء التام للسلطان¹⁹⁷

7- *الشرفاء:

إنهم صفوة المجتمع المغربي، وأهل الحل والعقد، يتمتعون بتقدير عظيم في المجتمع ويتمتعون بنفوذ معنوي كبير نظرا لانتسابهم للرسول صلى الله عليه وسلم، يحضرون مراسيم بيعة السلاطين المغاربة¹⁹⁸ ويتوزعون لفئات حسب

¹⁹³ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان-، ط1، دار المعرف، القاهرة، 1990، ص291.

¹⁹⁴ نفسه، ص306.

¹⁹⁵ خيرة بلعربي، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي 5هـ/10هـ، 16/11م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009/2010، صص57.

¹⁹⁶ محمد زروق، دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص18.

¹⁹⁷ محمد زروق، دراسات في تاريخ المغرب.....مرجع نفسه، ص19.

¹⁹⁸ عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، د.ت، ص78.

أصلهم. الأولى وهم أعقاب الحسن بن علي من سلالة السلطان إدريس، والثانية: من أعقاب الحسين بن علي. ومن عادات الأشراف أن لا تتزوج الشريفة إلا بشريف، ولهم صلاحيات كاملة فهم معفيون من الضرائب و مستلزمات الأسواق ولا يضام المستأجر بحرهم الإدريسي¹⁹⁹،

8- *العلماء:

يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع المغربي كونهم حماة الدين ورثة الأنبياء، يستعان بهم في حل المسائل الاجتماعية و الدينية بما في ذلك التدريس والإمامة، وارتقى الكثير منهم إلى المناصب السياسية بفضل فربه من السلطة السياسية كما أسس بعضهم الطرق الصوفية المنتشرة الكثير منها بالمغرب والدول المجاورة²⁰⁰

9- *التجار:

فرضت فئة التجار نفسها ووجودها في المجتمع المغربي نظرا إلى الأنشطة الاقتصادية التي كانوا يمارسونها فكانوا تجارا أو موظفين تابعين للمخزن²⁰¹

2-طبقات المجتمع الريفي:

تنوعت طبقات المجتمع الريفي المغربي نظرا لتنوع الفئات الاجتماعية ومنهم نذكر:

*المرابطون: النخبة المثقفة العاملة في أوساط المجتمع المغربي، كسبوا احترام أغلبية المجتمع لأنهم ينتسبون الى سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، استعين بهم في فك الخلافات و النزاعات الاجتماعية.

2-العوام و الحراطين: يشكلون غالبية السكان، فهم عمالا وخماسين في الحقول، أو زراعا في أملاكهم الخاصة.²⁰²

والحراطين: تسمية أمازيغية أطلقت على السود الذين تم جلبهم من السودان، استخدموا كعمال وخماسين في أراضي الشرفاء²⁰³

¹⁹⁹ عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء،مصدر سابق، 79.

²⁰⁰ نصيرة كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية من خلال كتاب الأستقصا، للناصري، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2019، ص241.

²⁰¹ نصيرة كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلويةمصدر سابق، ص242.

ثالثا: الوضع الاجتماعي في تونس على عهد الحسيني:

تنوع الفئات والأجناس تعتبر السمة البارزة والأساسية في المجتمع التونسي، وقد عرفت البلاد التونسية تنوع الشعوب التي وفدت بفعل عوامل طبيعية وسياسية كالهجرات القبائل والحروب والمجاعات المتتالية²⁰⁴، وانقسمت هذه الفئات انقساما جغرافيا بين المدن والأرياف نذكر منها:

1- جماعة الحضر: يطلق عليها أيضا جماعة: البلدية"، وهي العناصر الأولى التي ترعرعت في القطر التونسي عبر التاريخ، حافظوا دائما على ثقافتهم وشخصيتهم المميزة، وكانوا ينظرون الى بقية العناصر الأخرى بحذر²⁰⁵

2- الأندلسيون: انتشروا في معظم البلاد التونسية بعد سقوط إمارة غرناطة وقرار الطرد الجماعي الذي فرضته اسبانيا المسيحية ضد مسلمي ويهود الأندلس، فكانت بذلك الوفود الأندلسية تتدفق على بلاد تونس هروبا من الأوضاع السياسية بالأندلس، وكان "عثمان داي" يدرك قدرات وإمكانات العنصر الأندلسي فحاول استغلالها في تطوير بلاد تونس فشجعهم ووفر لهم سبل العيش الكريم²⁰⁶، وكان الأندلسيون ثلاث فئات:

- الخاصة: وهم العلماء والأثرياء، تمركزوا بالحاضرة تونس حومة الأندلسيين.
- الحرفيون: وضمت الصناعات وأصحاب الحرف، تمركزوا أساسا بالمراكز المحيطة بحظيرة تونس: كآريانة، طبرية، حلق الوادي....ألخ.

²⁰² نصيرة كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية، مرجع سابق، ص 243.

²⁰³ نفسه، ص 245.

²⁰⁴ علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج آيت با عمران، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، 1989، ص 12.

²⁰⁵ Arthur Pellegrin. HISTOIRE DE LA TUNISIE DEPUIS LES ORIGINES JUSQUA NOS JOURS. Edition. La rapide TUNIS. 1944.P136.

²⁰⁶ Arthur Pellegrin. HISTOIRE DE LA TUNISIE.....op. cit. P 138.

- الفلاحون: كانوا الأغلبية، يتمركزون بالأرياف والمناطق الزراعية أين تنتشر الأراضي الزراعية الخصبة و المياه غرب تونس وبسهل مجردة وشرق بنزرت، أسسوا مراكز عمرانية جديدة على غرار: تستور، مجاز الباب، السلوقية، قلعة الأندلس²⁰⁷

● الأتراك:

ظهر الأتراك منذ بتونس منذ أصبحت إيالة عثمانية خلال حكم خير الدين بربروس سنة 1574م، وشكل جند الانكشارية النواة الأولى للوجود التركي العثماني في البلاد التونسية للدفاع عن البلاد و حفظ الأمن بها²⁰⁸

انقسم الأتراك إلى فيئتين بارزتين، القادمون من الأناضول و الرومي، والثانية أطلق عليها الاعلاج وهم الأسرى الأوروبيون الذين اعتنقوا الدين الإسلامي والتحقوا بالدولة العثمانية وتسلقوا أعلى المناصب العسكرية والسياسية فأصبح منهم رياس البحر وقادة للجيش العثماني بعدما حسن إسلامهم.²⁰⁹

*اليهود:

تواجد اليهود في البلاد التونسية منذ أقدم العصور، واستمر توافد اليهود إلى بلغ عددهم في تلك الفترة عشرين ألفا بفضل توفر عوامل الاستقرار خاصة حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية، ومنهم يهود القادمين من مدينة ليفورن الإيطالية²¹⁰ وتمركزوا خاصة بالمناطق الساحلية البحرية على غرار تونس، بنزرت، صفاقص، سوسة، نابل، وهم ثلاث فئات:

1/يهود المال: الطبقة الرأسمالية التي سيطرت على المقدرات المالية للبلاد ومعظمهم من الجالية القرنية، وكانوا تحت تأثير النفوذ الفرنسي للسيطرة على البلاد مستقبلا.

²⁰⁷ حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق، ص131.

²⁰⁸ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت، 1991، ص523.

²⁰⁹ محمود شاكر، التاريخ الإسلاميمرجع سابق، ص525.

²¹⁰ حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق، ص134.

2/ يهود الطبقة المتوسطة: أغليبتهم من يهود تونس و من الحرفيين، وباعة المصوغ والحلي، وكانوا منبوذين من طرف أقرانهم من الطبقة البورجوازية"²¹¹.

*النصارى:

عرفت تونس توافد أعدادا كبيرة من الأسرى النصارى عن طريق الجهاد البحري الذي بلغ ذروته بين واسبانيا المسيحية الصليبية الإمبراطورية العثمانية التي كانت تعتبر البحر المتوسط بحرا إسلاميا، اعتنق الكثير من الأسرى المسيحيين الدين الإسلامي وقدموا خدماتهم الكبيرة للإسلام والمسلمين ومن أشهرهم "مراد باي" مؤسس الأسرة المرادية، وحسين ابن علي جد العائلة الحسينية، بالإضافة إلى فئة المماليك وهم الأسرى الأرمن والبلغاريين واليونانيين الذين وفدوا إلى تونس صغارا واختلطوا مع العناصر المحلية واعتنقوا الإسلام".²¹²

*الزنوج:

ينحدرون من إفريقيا السوداء، يرتبطون أساسا بالزراعة والأشغال الشاقة، يعملون أساسا في الحقول الزراعية والواحات. وفي عهد الأسرة الحسينية عكف البايات على عتق أكبر عدد منهم"²¹³

*سكان الريف:

يمثلون غالبية السكان، أصبح النظام القبلي هو النظام السائد في المناطق الريفية التي تعتمد على النشاط الزراعي نظرا لوفرة الأراضي الزراعية الخصبة حول المدن وانتشار السهول والمناخ الملائم للنشاط الزراعي والحيواني. ومن أهم القبائل التونسية التي تملك السطوة والنفوذ نذكر:

²¹¹ حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق، ص 136.

²¹² مجموعة من الباحثين، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 383.

²¹³ حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق، ص 138.

***الصف الحسيني:**

نسبة إلى حسين بن علي، ولهم الحظوة والسيادة لأنهم رجال البلاط الحسيني، يقدمون خدماتهم لنظام الحكم على مر السنين للبقاء في الحكم واستمرا لنفوذهم و امتيازاتهم.²¹⁴

***الصف المعرض:**

ويضم القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب أو التي تدفعها بالقوة والابتزاز، وهي القبائل القاطنة بالجنوب والواحات والمناطق الفقيرة كقبائل: مقعد، قبائل خمير بالإضافة إلى القبائل المسالمة كالمعادين والمهاذبة وغيرها.²¹⁵

***ثانيا: الحياة الاقتصادية في البلدان المغرب العربي:**

مثلت الجزائر القطر الأقوى بين دول المغرب الإسلامي خلال فترة الوجود العثماني، وانعكست تلك القوى على الجانب الاقتصادي الداخلي، والذي لعبت فيه العلاقات الثنائية مع دول الجوار دورا كبيرا، خاصة في الجانب التجاري، الذي كان يضمن توريد المنتوجات المحلية، واستيراد ما تحتاجه الإيالة ويتوفر في تلك الدول المغاربية.²¹⁶

***العوامل المؤثرة في العلاقات الاقتصادية بين البلدين**

تحكمت مجموعة عوامل سياسية واجتماعية وتاريخية سلبا وإيجابا، في طبيعة وحجم العلاقة الاقتصادية بين القطرين، ونذكر من تلك العوامل:

- الجوار الجغرافي وغياب حواجز طبيعية بين البلدين مثل ما هو موجود مع أوروبا، جعل من الحتمي أن ينشأ تبادل اقتصادي، خاصة بالنسبة للمناطق القريبة المتجاورة مثل الغرب الجزائري والشرق المغربي.

- الوحدة التاريخية بين القطرين في الفترات السابقة على العهد العثماني في عهد المرابطين ثم الموحدين، خلقت نوعا من الترابط الاجتماعي والاقتصادي بين رعايا القطرين²¹⁷.

²¹⁴ مجموعة من الباحثين، المغيبون في تاريخ.....مرجع سابق، ص385.

²¹⁵ حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق، ص139.

²¹⁶ أبو القاسم سعد الله، محاضرات. في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص150.

- التفاوت الموجود في كثير من المنتجات، ففي الوقت الذي كان المغرب يتوفر على المنتجات الزراعية مثل السكر والزيت ومثل الجلود، وبعض الصناعات الحفية التي وفرها المهاجرون الأندلسيون البارعون، فقد كانت الجزائر التي أصبحت عاصمتها مثل ما وصف "مارمول" أغنى مدينة في إفريقيا بسبب الغزو البحري، غنية بالأموال وبالأسرى، وكذلك بالسلع التي يتم غنمها مثل القمح والذهب والفضة والنحاس ومثل الأسلحة والبارود والسفن"²¹⁸.

- الفلاحة في الجزائر:

تشير الدراسات التاريخية حول الفلاحة بالجزائر خلال العهد العثماني أن أغلب السكان كانوا يعيشون بالريف وأن النشاط الفلاحي هو المورد الأساسي للسكان بفضل ملائمة الظروف الطبيعية وخصوبة التربة وتنوعها وكذلك وفرة المياه الزراعية"، وعموما فإن الزراعة كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالظروف المناخية بما جعل الإنتاج الفلاحي يتوقف على كمية الأمطار المتساقطة، مما جعل الريف والفلاح الجزائري تحت رحمة الظروف الطبيعية و المناخية ومرتبطة بها ارتباطا عضويا"²¹⁹

كانت الأسرة الجزائرية تشكل الوحدة الإنتاجية الأساسية، والقبيلة أو العرش يتولى عملية الحرث والحصاد بشكل جماعي، أما الملكية الزراعية فهي تقوم على الشكل التالي:

1/ الملكية الخاصة: هي ملكية شبه إقطاعية، وتنتشر في ضواحي المدن يستغلها أصحابها مباشرة ويدفعون ضريبة الزكاة والعشور."²²⁰

2/ ملكية البايليك: وهي الأراضي أكثر اتساعا وهي بحوزة وسيطرة الدولة كما هو الحال في دار السلطان، بايليك قسنطينة، بايليك وهران."²²¹

²¹⁷ مرمول اربخال، إفريقيا، ج 1، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنيير، محمد الأخضر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ص 98.

²¹⁸ المصدر نفسه، ص 99.

²¹⁹ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر..... مرجع سابق، ص 147.

²²⁰ العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص 58.

3/ الأراضي المشاعة: هي الأراضي الجماعية التي يستغلها سكان القبيلة .

4/ أراضي الوقف: وهي الأراضي الموقوفة والمحبوسة على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية وتشرف على تسييرها المصالح الإدارية.، وأحيانا تمنح لأفراد أو قبائل تستغلها مقابل أجر سنوي متفق عليه وتنتشر هذه الأراضي عادة حول المدن²²²

أصبحت الأراضي الزراعية في الجزائر خلال العهد العثماني تتميز بأسلوبين من الإنتاج:

-الأول: يركز على الارتباط بالأرض وحيازتها بالنسبة للأتراك العثمانيين.

-الثاني: يعتمد على الرعي والزراعة المؤقتة لسد احتياجات الغذائية ويتمثل في العنصر الجزائري المحلي، وبسبب كثرة

الجبايات وتعددتها لجأ السكان مزاولة حرفة الرعي لأنها تساعدهم على الترحال والتنقل نحو المناطق الداخلية وأطراف الصحراء، وتعد سهول متيجة، قسنطينة، وهران، عنابة من أهم الأراضي الزراعية الخصبة، حيث ذكر "شالار": "أن سهل متيجة على الأرجح أجمل السهول علة وجه الكرة الأرضية...."²²³ أنها تستطيع أن تعوله أية بقعة مماثلة على وجه الأرض، وتضم هذه السهول الخصبة مزارع كبيرة للدولة وأخرى ملكيتها فردية وخاصة تزود مدينة الجزائر بكل ما تحتاجه من الحمضيات و العنب والحليب والزبدة...."²²⁴

كما اشتهرت كل منطقة في الجزائر بمحصول أو أكثر حسب طبيعة التربة والظروف المناخية، وعموما فقد تميزت سهول قسنطينة و وهران وبجاية بإنتاج الحبوب في حين اشتهرت منطقة القبائل والمدية والفحوص المحيطة بالمدن الكبرى بإنتاج المواد التموينية والبساتين.²²⁵

²²¹ العربي الزبير، المرجع نفسه، ص 59.

²²² ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 45.

²²³ ويليام شالار، المذكرات، قنصل أمريكا في الجزائر. 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، ش. ون. ت.، الجزائر، 1982، ص 106.

²²⁴ نفسه، ص 108.

²²⁵ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر 1800-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 32.

والى جانب الإنتاج الزراعي اهتم الفلاح الجزائري بتربية الماشية والأبقار والتي شملت كل التراب الجزائري وخاصة الهضاب العليا لتتوسع المراعي، كما اهتم الفلاح بالهضاب العليا بتربية الخيول جنوب وهران وقسنطينة²²⁶

أما جنوب الجزائر وفي الصحراء، اهتم السكان بشكل خاص بتربية الإبل وزراعة النخيل وإنتاج التمور التي يعد المنتج الأساسي في المنطقة الصحراوية وفي الواحات الزراعية الغنية بالتربة الخصبة ووفرة المياه. إلى جانب بعض المزروعات المحدودة داخل الواحات غير أن الجفاف أضر كثيرا بالمحاصيل الزراعية بالإضافة إلى الثورات المحلية ضد الحكم العثماني²²⁷

عادة ما يستعين أصحاب المزارع والملاك بالعمال و الرعاة مقابل خمس المحصول الزراعي والنظام الجبائي المعمول به فهو يقوم على نظام الزكاة والعشر.²²⁸

-2- الحرف في الجزائر:

انتشرت الصناعة التقليدية بالمدن الجزائرية التي توارثها السكان المحليين أبا عن جد وتنوع التركيبة الاجتماعية التي تشمل عناصر متعددة من المحليين والأندلسيين واليهود والأتراك وبعض العناصر المسيحية.

مارس السكان المحليين صناعات عديدة ومختلفة ولكن أشهرها كانت بلا منازع الصناعات الصوفية كالبرنوس الجزائري التقليدي، الأغطية الصوفية المتنوعة، الزرابي، الفخار، الأدوات الجلدية، الأقمشة المختلفة، الحدادة، الأسلحة اليدوية، وقد ذكر ويليام شالار: "...وأهم الصناعات الجزائرية هي صناعة الحرير والصوف والجلود المدبوغة....وهي تباع بأسعار أعلى قليلا من مثيلاتها من المنتجات الفرنسية والإيطالية"²²⁹

اشتهر الأندلسيون بحرفة الحدادة، والنجارة، الخياطة، الخزف، الحرير، نسيج القطيفة²³⁰

²²⁶ أبو القاسم سعد الله، محاضرات.....مرجع سابق، ص152.

²²⁷ حمدان بن عثمان خوجة، المذكرات، تعريب وتعليق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، دار الثقافة، الجزائر، 1962، ص75

²²⁸ نفسه، ص77.

²²⁹ ويليام شالار، المذكرات، قنصل أمريكا في الجزائر..... مصدر سابق، ص93.

²³⁰ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر-العهد العثماني،..... مرجع سابق،-، ص140.

اشتهر يهود الجزائر بالخياطة، وصك النقود، والنقش على الحلي وترصيعها والأحجار الكريمة²³¹

أما العثمانيون الأتراك فقد اهتموا بصناعة السفن للضرورة الجهاد البحري ومواجهة الأخطار الخارجية للصليبية بزعماء اسبانيا المسيحية ولوفرة الغابات الضرورية لصناعة الخشب الجيد والسفن، بالإضافة إلى وفرة رؤوس الأموال الضرورية. ومن جهة أخرى أهتم العثمانيون بالصناعات التحويلية البسيطة لكن الاهتمام بها لم يكن في المستوى المطلوب ولم تتميز بالجودة على غرار الصناعات الفرنسية والإيطالية والانجليزية لأن السلطة الحاكمة لم تكن تسير تطورات العصر وتحديات الثورة الصناعية، ونذكر منها: صناعة الرصاص، الرخام، النحاس، الفضة²³² اشتهرت المدن في الجزائر العثمانية بتخصص الحرف و الورشات الصناعية، فمدینتا تلمسان و قسنطينة اختصانا في نسج الزرابي والأقمشة والحريير بينما مدينة الجزائر و وهران و ندرومة فقد اقتصت في طرز الملابس المتنوعة و الصناعات الصوفية والرخام والفضة والنحاس.²³³

ومن جهة أخرى، اقتصت كل حرفة بشارع أو سوق ينتسب إليها مثل شارع مثل: سوق النحاسين، النجارين، الدباغين، الحدادين، وغيرها من الحرف المختلفة، لكل حرفة تخصص لسلطة رئيس يلقب "بالأمين" مثل: أمين الدباغين، أمين النحاسين، أمين الحدادين،...الخ، ويزاول مجموع الأمناء نشاطاتهم تحت سلطة شيخ البلد.²³⁴ أما عن الصناعات في القرى والمناطق الداخلية والصحراوية، فهي بدورها تنوعت نظرا للتنوع البيئي الطبيعية واختلاف الغطاء النباتي والزراعي والحيواني، انتشرت بذلك الحرف اليدوية خاصة منها الصوفية والزراعية منها : العسل، الصوف، الزبدة..الخ غير أن "حمدان خوجة" يذكر: "...توجد ببني عباس ووادي بجاية وبني جنات مصانع

²³¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،.....مرجع سابق، ، ص142.

²³² العربي الزبيري، التجارة الخارجية.....مرجع سابق، ص62.

²³³ ويليام شالار، المذكرات، قنصل أمريكا في الجزائر..... مصدر سابق، ص 96.

²³⁴ ويليام شالار، المذكرات، قنصل أمريكا في الجزائر..... مصدر سابق، ، ص65.

للأسلحة النارية والبنادق المرصعة بالفضة، كما تصنع فيها البلاتين ويعرف السكان أيضا طريقة استخراج خامات الحديد ومناجم الرصاص و ملح البرود.....²³⁵

-التجارة:

تعتبر التجارة المحرك الرئيسي لاقتصاد ولحركة التبادل التجاري إلا أنها لم تعط لها الأهمية اللازمة من طرف الحكام العثمانيين بسبب الاهتمام بالجهد البحري والغنائم البحرية على حساب التجارة وتطويرها التي كانت تدر أموالا طائلة على رياس البحر والطبقة الحاكمة، ويمكن تقسيم الجارة في الجزائر العثمانية إلى نوعين أساسيين²³⁶:

1-التجارة الداخلية:

بفضل تنوع المحاصيل الزراعية والحيوانية والإنتاج الزراعي في الريف والحرفي بالحواضر الكبرى، ساعدت هذه الحركية التجارية على تنمية التجارة الداخلية²³⁷، ومن جهة أخرى ساعدت السلطة العثمانية هذه الحركية التجارية بغية فرض سلطتها وهيمنتها على سكان الريف والقبائل وعلى جميع الطرف البرية التي تمر عبرها القوافل التجارية القادمة من المناطق المتاخمة للجبال والصحراء والمتجهة نحو المغرب الأقصى وتونس وبلاد السودان²³⁸ تتم التجارة الداخلية أساسا داخل الأسواق الأسبوعية مثل سوق: السبت، سوق الأربعاء وسوق الاثنين والأسواق الشهرية والسنوية داخل البوادي بين القبائل والعروش ويتمركز أساسا في المدن الكبرى كمدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان ووهران و مازونة ومعسكر وورقلة، وفي الأسواق تلتقي جميع البضائع المحلية القادمة من مختلف مناطق الجزائر العثمانية، من قبائل أولاد سيدي الشيخ، قبائل أولاد نايل، النمامشة، وغيرها وتلتقي

²³⁵ عثمان بن عثمان خوجة، المرأة.....مصدر سابق، ص 67.

²³⁶ نفسه، ص 68.

²³⁷ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....مرجع سابق، ص 41.

²³⁸ نفسه، ص 38.

المنتجات السهلة كالحبوب والزيوت و التين والفواكه المتنوعة، والبضائع الجنوبية الصحراوية خاصة منها التمور والماشية و الصوف وريش النعام.²³⁹

وما يمكننا استخلاصه، أن الأسواق الداخلية المحلية بالجزائر العثمانية التي لعبت دورا رئيسيا في التبادل التجاري أصبحت مع مرور الأيام أماكن لفض النزاعات بين القبائل المتصارعة على الأراضي الزراعية والمراعي والنفوذ الاقتصادي، ومن جهة أخرى إلى أماكن لنقل الأخبار.

2- التجارة الخارجية:

تعتبر مصدرا مهما في تنمية موارد الخزينة المحلية لأنه نشاط يتخطى الحدود السياسية نحو العالم الخارجي، وساعدت على ذلك عدة عوامل رئيسية منها الموقع الجغرافي للجزائر، الموانئ الساحلية، تنوع العلاقات الخارجية بفضل قوة الأسطول البحري العسكري، وتنوع التركيبة السكانية للجزائر العثمانية²⁴⁰، ورغم هذه العوامل المشجعة على تطوير التجارة الخارجية إلا أنها ظلت متواضعة خضعت منذ بداية القرن التاسع عشر إلى الاحتكارات الخارجية وخاصة منها الفرنسية واليهودية (شركة بوشناق- بكري)²⁴¹ التي تحكمته في تجارة بايليك الشرق خاصة منها الحبوب وأصبحت تزود فرنسا بالحبوب خلال فترة حروب نابليون الأوروبية، ويؤكد حمدان خوجة في مذكراته هيمنة العائلات اليهودية على تجارة الجزائر الخارجية بقوله: ".....لقد سمعت أحد البولكباشيين وهو قائد الحامية التركية بمدينة عنابة: إن كمية القمح التي صدرت إلى أوروبا في تلك السنة كانت تقدر بست وتسعين شحنة (مركبا)، وفي نفس السنة تم تصدير مائتين وأربعين ألف صاع قمحا من ميناء وهران"²⁴² وقد نتج عن احتكار تجارة الحبوب ارتفاع أسعارها وانتشار المجاعات مع نهاية القرن الثامن عشر، وما كان هدف هذه الاحتكارات للعائلات المتحكمة في الاقتصاد إلا

²³⁹ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012، ص. 339.

²⁴⁰ ويليام شالار، المذكرات، قنصل أمريكا في الجزائر..... مصدر سابق، ص 98.

²⁴¹ العربي الزبيري، التجارة الخارجية..... مرجع سابق، 214.

²⁴² حمدان بن عثمان خوجة، المذكرات..... مصدر سابق، ص 160.

جمع المزيد من الأموال لحماية مصالحها واستثمار المزيد منها في مدن ليفورنا ومرسيليا وباريس.²⁴³ أما الشركات

الفرنسية فقد تمثلت في الوكالة الإفريقية الفرنسية ثم الشركة الإفريقية التي كان مركزها مدينة مرسيليا²⁴⁴

ومن جهة أخرى، أشارت العديد من الدراسات شح المنتجات والسلع الخارجية بالأسواق والحواضر الكبرى خاصة القادمة من محيط الجزائر الخارجي من السلع القادمة من إفريقيا، المغرب، تونس، طرابلس الغرب ورغم تواصلها التاريخي إلا أنها ظلت ضعيفة بسبب عدم الاهتمام بها وتطويرها من قبل الحكام العثمانيين المتعاقبين على الحكم والعلاقة المتوترة بين الجزائر والدول الأوروبية في كثير من الأحيان، ومن جهة ثانية لم تكن الجزائر تملك أسطولا تجاريا حديثا تنقل بها مختلف السلع، ولما كانت فرنسا هي المتعامل الرئيسي مع الجزائر تجاريا فبذلك كانت المسيطرة على حركة النقل بين الجزائر والعالم الخارجي²⁴⁵

-الموارد المالية في عهد العثماني:

تتكون الموارد المالية في العهد العثماني من مايلي:

1-مداخل الزكاة والعشور: وهي ضرائب شرعية تفرض على الموارد الزراعية والحيوانية المختلفة وغيرها من الأموال العينية و النقدية.

2-الحكر: هو الإيجار الذي يدفعه الفلاحون مقابل استغلالهم الأراضي التي تمتلكها الدولة و البايليك²⁴⁶.

3-الخراج: وهي ضريبة تدفع على أهل الذمة من اليهود و النصارى.

4-العوائد: وهي الهدايا التي تقدم إلى الدايات خلال المناسبات الدينية وغيرها يقدمها ممثلي الدول كالقناصل²⁴⁷.

5-حقوق الجمارك و المكوس.

²⁴³ العربي الزبيري، التجارة الخارجية.....مرجع سابق، ص 210.

²⁴⁴ حليبي عبد القادر، مدينة الجزائر:نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، مطبعة البعث العربية، الجزائر، 1972، ص303.

²⁴⁵ صالح عباد،الجزائر خلالمرجع سابق، ص 343.

²⁴⁶ حليبي عبد القادر، مدينة الجزائر:نشأتها.....مرجع سابق، ص 159.

²⁴⁷ العربي الزبيري، التجارة الخارجية.....مرجع سابق، ص 202.

6-الإتاوات التي تدفعها الدول الأجنبية مقابل سلامة سفنها التجارية في عرض البحر المتوسط.

7-خمس الغنائم البحرية.

8-الدنوش: وهي ضرائب نقدية وعينية تقدم إلى البايات كل ثلاث سنوات إلى الخزينة العامة²⁴⁸.

لم تكن هذه الموارد والضرائب المالية ثابتة، بل تتغير باستمرار حسب الظروف الاقتصادية والمالية التي تمر بها الدولة²⁴⁹، ومع تراجع الموارد المالية أصبحت السلطة السياسية في ضائقة مالية خانقة مما أدى إلى فرض المزيد من الضرائب وجبايتها على الأهالي بطريقة تعسفية وعن طريق القوة²⁵⁰.

3-اللازمة: وهي ضريبة مفروضة على بعض المناطق الثرية، وهي استثنائية تدفع كمساهمة من الأثرياء في نفقات الجيش.

-الواردات الجزائرية من العالم الخارجي:

الواردات في سنة 1822 بالدولار الإسباني.

من بريطانيا، منتجات الهند وبريطانيا*****500.000دولار
من اسبانيا: الحرير- السكر- الفلفل- القهوة-*****300.000دولار.
من فرنسا: السكر- القهوة- الفلفل- الصلب. الأقمشة. ****200.000دولار.
من بالدان المشرق: مادة الحرير الخام*****100.000دولار.
منوعات الحرير: من ايطاليا- فرنسا- مجوهرات والأحجار الكريمة والماس. ****100.000دولار.
المجموع: 1.200.000دولار.

ثانيا:

²⁴⁸ العربي الزبيري، التجارة الخارجية.....مرجع سابق، ص213.

²⁴⁹ حمدان بن عثمان خوجة، المذكرات.....مصدر سابق، ص159.

²⁵⁰ محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث.. من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق، بيروت، د. ت، ص96.

الصادرات بالدولار الاسباني في سنة 1822م.

من موانئ المملكة في اتجاه مرسيليا وليفورن وجنوة

10000 قنطار من الجلود الخام بسعر 8 دولار للقنطار.	80.000 دولار.
600 قنطار من الشمع بسعر 30 دولار للقنطار	18.000 دولار.
ريش النعام ومنتجات أخرى قليلة القيمة. : المجموع: 275.000 دولار اسباني.	
من موانئ المملكة في اتجاه مرسيليا وليفورن و جنوة: 2000. قنطار من الصوف بسعر 8 دولار للقنطار.	160.000 دولار

الصادرات والواردات الجزائرية: لخصها ويليام شالار في مذكراته على النحو التالي:²⁵¹

من خلال قيمة الصادرات والواردات في الجزائر العثمانية يمكننا أن نستنتج أن الميزان التجاري الجزائري عرف عجزا واضحا للأسباب عديدة نذكر منها : تراجع مداخل الجهاد البحري بسبب نقص عدد القطع البحرية، توتر العلاقات الجزائرية الأوروبية مما أدى الى حصار السواحل الجزائرية من طرف الأسطول الحربي الفرنسي منذ سنة 1827م.

²⁵¹ ويليام شالار، المذكرات.....مصدر سابق، ص 102.

ورغم تنوع صادرات الجزائر إلا أن أرباحها كانت تعود بالأساس إلى التجار اليهود والعائلات المتنفة من كبار ضباط الجيش الانكشاري والبايات وأعوان الدايات الذين كان انشغالهم جمع المزيد من الأموال ونقلها إلى اسطمبول وباقي الولايات العثمانية²⁵²

الزراعة التقليدية المتنفس الوحيد والقطاع الرئيسي لسكان المغرب الأقصى إضافة إلى حرفة الرعي التي غالبا ما كانت مقرونة بالنشاط الزراعي الذي كان تحت سيطرة القبائل المباشرة التي أصبحت الذراع الرئيسي النظام السياسي القائم من حيث توفير مختلف المنتجات الزراعية التي يحتاجها المواطن إضافة إلى الهياكل التنظيمية التي لم تول أي اهتمام للنشاط الزراعي الحديث وتطويره نذكر منها على وجه الخصوص قبائل "بنو مطير" التي كانت تقطن السهول وتستغلها وفق تقاليد ونظم متعارف عليها.²⁵³

و من جهة أخرى، استطاع بعض المرابطين وشيوخ الزوايا اقتطاع بعض الملكيات الخاصة كما تمكنت القوى الاستعمارية بدورها اقتطاع والسيطرة على أراضي زراعية خصبة لاحقا²⁵⁴ وعموما، فإن المغرب الأقصى عرف ركودا زراعيًا رغم إمكانياته الطبيعية والزراعية الواسعة لاعتبارات سياسية من جهة والهياكل التنظيمية البالية المتخلفة من جهة ثانية.

2- النشاط الصناعي.

كان منحصر ومنشرا حول المدن التاريخية والموانئ الكبرى وهي عبارة عن صناعات تقليدية، كالصناعة الصوفية والخزفية والنحاسية والحديدية والشواشي والأحذية والدباغة، إلى جانب ذلك اهتم السلاطين المغاربة بالصناعة السكر، والسلاح والصناعات المعدنية والخشبية خلال القرن التاسع عشر²⁵⁵

²⁵² محمد خير فارس، تاريخ الجزائر.....مرجع سابق، ص 96.

²⁵³ محمد زرهوني، العلاقة بين السلطة والسكان بمنطقة الأطلس الكبير الغربي في أعوام السنين من القرن التاسع عشر 1863/1280-

1873/1290م، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، 1960، ص 36.

²⁵⁴ محمد زرهوني، العلاقة بين السلطة.....مرجع سابق، ص 41.

²⁵⁵ مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 1863-1898، ج 1، تق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1984،

أما الصناعات الغذائية فقد اعتمدت على طحونات القمح ومعاصر الزيتون وتكرير السكر والمطاحن المائية لطحن القهوة لعموم المستهلكين²⁵⁶

صناعة المراكب والقذائف: عرفت نشاطا متميزا خلال عهد السلطان سيدي محمد ابن عبد الله عبد الله الذي قام بإنشاء السفن بمرسى العدوتين والعرائش وجعلهما مركزين عظيمين لهذا الغرض، تم تأسيس دار لصناعة السفن الكبرى بالرباط، واستفاد المغرب سنة 1181هـ/1767م ببعثة تركية لبناء السفن وصنع القذائف²⁵⁷

-النشاط التجاري

ارتبطت التجارة بالأسواق الداخلية عن طريق القوافل والأساطيل البحرية، ويعتبر الطريق التجاري تطوان-فاس-تافيلالت من أهم الطرق التجارية والاقتصادية داخل المغرب، وكانت القوافل التجارية تنتقل محملة بالمنتجات الزراعية والصناعية والمعدنية عبر هذا الطريق التجاري الحيوي ذهابا وإيابا²⁵⁸ ثم تتجه القوافل نحو الطريق الجنوبي تافيلالت- تمبكتو²⁵⁹

-التجارة الداخلية:

لقد شكلت المشيخات قوة مخزنية للنظام العلوي في الميدان التجاري وحظيت بامتيازات كبيرة لقاء خدماتها للنظام المخزني، ويعتبر الشيخ الحسين أهاشم من أهم المشايخ الذين سيطروا على تجارة القوافل خاصة في إقليم "آيت باعمران" في القرن التاسع عشر، هذا بالإضافة إلى مشايخ "ترودانت" الذين شكلوا قوة اقتصادية من خلال تصريف المنتجات الأوروبية نحو بلاد السودان²⁶⁰

²⁵⁶ نصره كلة، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب الاستقصا للناصري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019/2018، ص 217.

²⁵⁷ أبو العباس أحمد ابن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، ج 7، تج، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب،، الدار البيضاء، 1997، ص 16.

²⁵⁸ نفسه، ص 18.

²⁵⁹ نفسه، ص 19.

²⁶⁰ علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج آيت با عمران، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، 1989، ص 7.

النظام الاقتصادي في تونس على العهد الحسيني

في المجال الزراعي. اعتمدت تونس خلال عهد الحسيني على النشاط الزراعي بفضل وفرة الأراضي الزراعية والظروف المناخية الملائمة التي ساعدت على التنوع الزراعي والفلاحي وخاصة الجهة الشمالية والوسطى وناحية القيروان و صفاقس²⁶¹، وتعد ملكية الأراضي الزراعية من أهم عوامل التنمية الاقتصادية التي تعتمد على أساس النظام الإسلامي التي تتمثل في الملك والوقف.

فنظام الملك يتيح للمالك حرية التصرف في ملكه من خلال البيع أو الإيجار أو الحبس، أما نظام الوقف يكون فيه الملك غير قابل للبيع ولكنه قابل لأن يكون محل مقايضة أو إيجار²⁶².

تمتعت العائلات الغنية والشخصيات البارزة في البلاط الحسيني في تونس على امتيازات وبممتلكات كثيرة على غرار أسرة الجلولي، سيالة، وقاسم بن سلطنة الباش كاتب، محمود السراري الخزندار وغيرهم من المتنفذين في سرايا الحكم التونسي، أما على مستوى الأرياف فقد كان نظام العروش شائعاً حيث امتلكت العديد من القبائل الرحل الآلاف من الأراضي نذكر على سبيل المثال قبائل: فطناسة، نفرة، شتانة، أولاد يحيى، أولاد بوسالم، أولاد بوبحنفة، مما دفع بايات تونس إلى سياسة الإغراء والمهادنة لكسب ود هذه القبائل من خلال تخفيف الضرائب وة الدعم الفلاحي الذي عرف نشاطاً كبيراً على عهد الباي: "الحسين ابن علي"²⁶³، أما الإنتاج الحيواني فهو بدوره عرف نشاطاً حيوياً خاصة الماشية، تربية الدواجن، الثيران²⁶⁴.

إصلاحات حمودة باشا الزراعية:

²⁶¹ حفيظة بوتوقوماس، الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1251/1117هـ-1835/1705م، رسالة ماجستير في التاريخ

الحديث، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص 43-44.

²⁶² المرجع نفسه، ص 46.

²⁶³ حفيظة بوتوقوماس، الحياة الاجتماعية في تونس.....مرجع سابق، ص 14.

²⁶⁴ نفسه، ص 93.

عرف الاقتصاد التونسي انتعاشا ملحوظا خلال فترة حمودة باشا رغم الظروف المالية الصعبة التي كانت تمر بها تونس²⁶⁵، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي بها تونس في عهده من سنة 1803 إلى 1804م مما أدى إلى مجاعة كبرى بسبب احتباس الغيث، وتعسر الإتيان بالميرة لوقوع الحروب يومئذ²⁶⁶

اصدر "حمودة باشا" عدة قوانين لإصلاح الاقتصاد وخاصة منها حماية الفلاحين من التجار الأجانب الذين كانوا يعتمدون الى شراء المحاصيل قبل استوائها بهذا جنهم الخسائر، بالإضافة إلى إصلاح النظام الضريبي في البلاد تديبرا في شأن الجباية، وكان حمودة باشا يهدف من وراء هذا الإصلاح إلى أن يجعل للدولة دخلا ثابتا لا يتغير حسب الفصول والمواسم من جهة والقضاء على الممارسات القديمة²⁶⁷

ومن جهة أخرى، عمل الباي حمودة باشا على توفير أنظمة زراعية متطورة لزيادة المردودية خاصة فيما يخص المنتجات التي كثر عليها الطلب كالحبوب و الزيتون، فاستعان بالمهندسين الفرنسيين الزراعيين مما أدى إلى زيادة الإنتاج و استعادت تونس ثوبها الأخضر وتطورت الصادرات الزراعية نحو البلدان الأوروبية بكميات كبيرة²⁶⁸ أما في المجال الصناعي والحرفي،

وصناعة عرفت تونس نمطا زراعي تقليديا مستمدا من النشاط الأساسي للبلاد وهو الإنتاج الزراعي والحيواني، العطور بفضل انتشار الأشجار المزهرة التي استغلّت في صناعة العطور التي لا تقل جودة عن العطور المستوردة، لذلك قام حمودة باشا بسياسية اقتصادية جديدة تقوم على أساس تشجيع الصناعة المحلية²⁶⁹ خاصة منها صناعة الشاشية وبلغ عدد الحرفيين أكثر من خمسة عشرة حرفي، وأولى هذه الحرفة خططا و مركزا اجتماعيا عاليا²⁷⁰

²⁶⁵أحمد بن أبي ضيفاف، إتحاف أهل الزمان.....ج3، مصدر سابق، ص13.

²⁶⁶نفسه، ص12

²⁶⁷أحمد بن أبي ضيفاف، إتحاف أهل الزمان.....ج3، مصدر سابق، ص23.

²⁶⁸رزيقة محمدي، الإصلاحات الاقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا 1782-1814م، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، **العدد:30**، كانون الأول، 2016، ص89.

²⁶⁹Jean André PESSONNEL. Voyages dans les régences de Tunis et D'Alger. Librairie de Gide. Paris.1838.

pp.76-77.

²⁷⁰Op. cit. p.81.

-الصناعات العسكرية:: أنشأ حمودة باشا عدة مصانع لصناعة البارود بمساعدة فرنسية بفضل توفر المادة الأولية في تونس (ملح البارود) ومصانع أخرى لصناعة المدافع والقذائف،²⁷¹ ومصانع حديثة لبناء السفن الحربية بميناء حلق الوادي²⁷²

-النشاط التجاري:

عرف النشاط التجاري نشاطا ملحوظا و متزايدا بفضل اهتمامات بابايات تونس بالنشاط التجاري، فتحوّلت بذلك مدن تونس المختلفة القديمة والحديثة إلى مراكز تجارية تأتمها الوفود من كل الجهات لشراء حاجاتها المختلفة، نذكر منها : سوق "السكاكين": المتخصصة في بيع لوازم الفروسية، سوق "البلاغجية": خاص ببيع الأحذية، سوق الباي": المتخصص في بيع السجاد والأقمشة الحريرية²⁷³

-التجارة الخارجية:

اعتمدت تونس سياسة الانفتاح الاقتصادي والمبادلات التجارية مع البلاد الأوروبية و الشرق و الدول المغاربية المجاورة ومنحت السياسة الاقتصادية امتيازات واسعة للتجار الأوروبيين خاصة مع فرنسا في عهد حمودة باشا من خلال توقيع العديد من الاتفاقيات والمعاهدات التجارية لصيد المرجان على طول السواحل التونسية بين الشركة الإفريقية الفرنسية وحمودة باشا سنة 1781م.²⁷⁴

مظاهر العلاقة الاقتصادية بين الجزائر والمغرب في العهد:

في الميدان الفلاحي

²⁷¹ رزيقة محمدي، الإصلاحات الاقتصادية بإيالة تونس في.....مرجع سابق، 92.

²⁷² نفسه، ص94.

²⁷³ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط2، دار المسيرة، لبنان، 1993، ص331.

²⁷⁴ كمال مايدي، جوانب من العلاقات الخارجية لأيالة تونس مع فرنسا والدويلات الايطالية في عهد حمودة باشا الحسيني 1782-

1814م، مجلة عصور، العدد 17، ديسمبر 2018، ص173.

رغم قلة المصادر في هذا الجانب، فهناك ما يؤكد على وجود ارتباط في هذا الجانب، حيث كان هناك تبادل لكثير من المنتوجات الزراعية، وكذلك انتقال دائم للعاملين في الزراعة، والمتخصصين في البذر والحراث وفي الحصاد، بين ضفتي الحدود الرابطة بين البلدين²⁷⁵، وهناك أيضا ما يدل على وجود إمكانية تملك مواطني كل قطر للأراضي الفلاحية المنتجة القطن والآخر وقد ساهم اختصاص كل بلد ببعض المنتوجات بوجود تبادل حتي بين البلدين، فقد كان المغرب يحتكر زراعة السكر والشجرة المنتجة لصبغ النيلة، والذين يكثر عليهما الطلب في الجزائر، بينما كانت الجزائر تحكر إنتاج العنب، وتنتج أيضا التمور والشعير والقمح، وتساوي البلدين في كثير من المنتوجات الزراعية والحيوانية.

أما الحرف فكانت متوفرة ومتطابقة في البلدين إلى حد كبير، مما سهل إمكانية انتقال الصناعيين والحرفيين بين في تلك الفترة، نجد الصناعات الصوفية، والكتان. البلدين للعمل في نفس الظروف والخبرة، أو عن طريق الأجانب ومن أشهر الصناعات المتوفرة بالقطرين في تلك الفترة، نجد الصناعات الصوفية، والكتان والأسلحة والبارود والألبسة الحريرية والأحذية الجلدية والشاشيات، التي دخلت مع النازحين الأندلسيين، وفي المغرب كانت السيوف التبادل. والجلود، والكثير من الألبسة المزخرفة والأحذية والزخرفة وصناعة الأصبغة، والزراي والأواني النحاسية.²⁷⁶ التجاري

المبادلات التجارية بين القطرين:

في تلك الفترة مزدهرة مقارنة بالدول الأوروبية لكن المصادر توثق، وجود طرق تجارية مشهورة لتصريف سلع البلدين، كانتا اثنتين منها برية وواحدة بحرية كان الطريق البحري ينطلق من تطوان بالمغرب ويمر عبر بعض الموانئ المغربية حتى حجر باديس، ومنه إلى ميناء هنين ثم أرزيو فشرشال وصولا إلى مدينة الجزائر ومنها إلى دلس ثم بجاية أما الطرق البرية، "ثم القل فعنابة، ومنها إلى موانئ تونس، وهي الطريق التي ذكرها الرحالة المغربي التيمقوتي"²⁷⁷ فأحدها شمالي يربط بين أهم المدن الداخلية وبعض المدن الساحلية، ينطلق من فاس ويمر بتازة ثم وجدة ومنها إلى

²⁷⁵ حفيظة بوتوقوماس، الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني.....مرجع سابق، ص56.

²⁷⁶ حفيظة بوتوقوماس، الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني.....مرجع سابق، ص66.

²⁷⁷ علي أبو الحسن التيمقوتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، ترجمة المقدم دو كاسترو، المغرب، 1929، ص154.

تلمسان فمعسكر فمازونة وصولاً إلى مدينة الجزائر، ومنها إلى قسنطينة فعنابة ومنها إلى القطر التونسي²⁷⁸، وهذا الطريق سلكه الحسن الوزان في رحلته سنة 1515م²⁷⁹، وقد كان يتفرع عن هذا الطريق طريق يؤدي إلى بسكرة والطريق البري الثاني: فيسلك. يسلكه الحجاج القادمين من شمال الجزائر، ليلتقوا بالحجاج القادمين من المغرب مناطق الجنوب، وينطلق من تافيلالت، بالجنوب المغربي، ويمر ببوسمغون بالجزائر، ثم الغاسول، ثم عين ماضي فالأغواط، وصولاً إلى بسكرة، فسيدي عقبة ومنها إلى توزر بالجنوب التونسي، وقد تعرض هذا الرحلة على منطقة توات للقاء التجار القادمين من بلاد السودان، ويمثل هذا الطريق مسلك الحجاج القادمين من المغرب²⁸⁰،:

كانت الجزائر تصدر إلى المغرب الأسلحة والأقمشة الهندية والحرير التونسي وبعض المنتجات الزراعية مثل العنب والتمور، بينما كان المغرب يصدر إلى الجزائر الصابون والسكر والجلود المدبوغة والنعال الجلدية والألبسة المحاكاة من الصوف والحرير، وكذلك التبر والذهب والبخور والنيلة²⁸¹.

●:مراكز التبادل التجاري .

بفضل موقعها وعلاقتها التجارية القوية مع أوروبا أصبحت الجزائر مقصدا للتجار من الأقطار المختلفة ومنهم تجار المغرب الأقصى للتزود والبحث عن السلع كما لعبت مدينة تطوان دولاً لشمال في الجهة الأخرى، حيث كانت مقصدا دائما للبحارة الجزائريين للتزود ولتصريف تجارتهم، وقد بدأ هذا الدور والعلاقة منذ عهد خير الدين الذي كان يتردد على الميناء وتواصل في عهد حاكمة المدينة السيدة الحرة، التي جمعتها علاقات طيبة مع عثماني الجزائر وتجارها، لعبت .وعن طريق بحارة الجزائر كان أهل تطوان وتجارها يصرفون تجارتهم، كما وسلعهم مثل العسل والصابون مدينة تلمسان دورا تجاريا مهما بين القطرين بفضل موقعها الجغرافي بوصفها نقطة وصل تقع على منتصف الطرق

²⁷⁸ المصدر نفسه، ص158.

²⁷⁹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص123.

²⁸⁰ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا،مصدر سابق، ص125.

²⁸¹ علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغربمرجع سابق، ص13.

التجارية، واعتمادا على ميراثها التاريخي وكونها عاصمة المغرب الأوسط التاريخية، حيث كانت دوما مقصدا لتجار

السودان والمدن المغربية مثل فاس وسجلماسة، ودرعة، وفجيج، وتازة.²⁸²

وما يمكننا استخلاصه، أن خلال العهد السعودي كانت العلاقة سيئة في أغلب الأوقات، وخضعت لجو الصراع الذي طبع العلاقة الثنائية بين القطرين، وكذلك مع الأسبان والبرتغاليين، مما انعكس على التبادل التجاري، لكن هذا لم تجاري خاصة عبر طريق التجارة الصحراوي، لا سيما في عهد المنصور الذهبي، الذي امتاز عهده بالهدوء والرخاء، وساهمت رحلاته إلى السودان في تكديس سلع السودان الغربي.²⁸³

وفي العهد العلوي استمرت القوافل التجارية في التنقل بين البلدين وعاد الهدوء للعلاقات استمرت القوافل التجارية في التنقل بين البلدين، لتصريف سلع القطرين والسلع القادمة من السودان والمشرق بعد توقيع اتفاقية وادي ملوية كحد فاصل بين القطرين، لأن العلاقات الاقتصادية عاملا حتميا بين الدول، بسبب حاجة السكان للحاجيات الضرورية في الطعام واللباس والتي قد لا تتوفر في نفس القطر، وبسبب الجوار الجغرافي والرابط الديني والتاريخي بين شعوب، وتأثرت تلك العلاقة ازدهارا وضمورا، خلال العهد العثماني بطبيعة العلاقة السياسية بين سلطتي البلدين، لكن ذلك لم يمنع من وجودها وتأثيرها في حياة سكان القطرين.²⁸⁴

²⁸² أبو العباس أحمد ابن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.....مصدر سابق، ص 42.

²⁸³ المصدر نفسه، ص 46.

²⁸⁴ علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغربمرجع سابق، ص 19.

*الخلاصة:

-تعتبر مصدرا مهما في تنمية موارد الخزينة المحلية لأنه نشاط يتخطى الحدود السياسية نحو العالم الخارجي، وساعدت على ذلك عدة عوامل رئيسية منها الموقع الجغرافي للجزائر، الموانئ الساحلية، تنوع العلاقات الخارجية بفضل قوة الأسطول البحري العسكري، وتنوع التركيبة السكانية للجزائر العثمانية"، ورغم هذه العوامل المشجعة على تطوير التجارة الخارجية إلا أنها ظلت متواضعة خضعت منذ بداية القرن التاسع عشر إلى الاحتكارات الخارجية وخاصة منها الفرنسية واليهودية (شركة بوشناق- بكري)

- من خلال قيمة الصادرات و الواردات في الجزائر العثمانية يمكننا أن نستنتج أن الميزان التجاري الجزائري عرف عجزا واضحا للأسباب عديدة نذكر منها : تراجع مداخل الجهاد البحري بسبب نقص عدد القطع البحرية، توتر العلاقات الجزائرية الأوروبية مما أدى إلى حصار السواحل الجزائرية من طرف الأسطول الحربي الفرنسي منذ سنة 1827م.

- من خلال قيمة الصادرات و الواردات في الجزائر العثمانية يمكننا أن نستنتج أن الميزان التجاري الجزائري عرف عجزا واضحا للأسباب عديدة نذكر منها : تراجع مداخل الجهاد البحري بسبب نقص عدد القطع البحرية، توتر العلاقات الجزائرية الأوروبية مما أدى الى حصار السواحل الجزائرية من طرف الأسطول الحربي الفرنسي منذ سنة 1827م.

-أما النشاط الصناعي كان منحصر ومنشرا حول المدن التاريخية والموانئ الكبرى وهي عبارة عن صناعات تقليدية، كالصناعة الصوفية والخزفية والنحاسية و الحديدية والشواشي والأحذية والدباغة، إلى جانب ذلك اهتم السلاطين المغاربة بالصناعة السكر، والسلاح والصناعات المعدنية و الخشبية خلال القرن التاسع عشر.

أما الصناعات الغذائية فقد اعتمدت على طحونات القمح ومعاصر الزيتون وتكرير السكر والمطاحن المائية لطحن القهوة لعموم المستهلكين، أما صناعة المراكب والقذائف: عرفت نشاطا متميزا خلال عهد السلطان سيدي محمد ابن عبد الله عبد الله الذي قام بإنشاء السفن بمرسى العدوتين والعرائش وجعلهما مركزين عظيمين لهذا الغرض، تم تأسيس دار لصناعة السفن الكبرى بالرباط، واستفاد المغرب سنة 1181هـ/1767م ببعثة تركية لبناء السفن وصنع القذائف"

-المبادلات التجارية بين القطرين: في تلك الفترة مزدهرة مقارنة بالدول الأوروبية لكن المصادر توثق، وجود طرق تجارية مشهورة لتصريف سلع البلدين، كانتا اثنتين منها برية وواحدة بحرية كان الطريق البحري ينطلق من تطوان بالمغرب ويمر عبر بعض الموانئ المغربية حتى حجر باديس، ومنه إلى ميناء هنين ثم أرزيو فشرشال وصولاً إلى مدينة الجزائر ومنها إلى دلس ثم بجاية.، كما كانت الجزائر تصدر إلى المغرب الأسلحة والأقمشة الهندية والحرير التونسي وبعض المنتجات الزراعية مثل العنب و التمر، بينما كان المغرب يصدر إلى الجزائر الصابون والسكر والجلود المدبوغة والنعال الجلدية والألبسة المحاكاة من الصوف والحرير، وكذلك التبر والذهب والبخور والنيلة.

- مراكز التبادل التجاري، بفضل موقعها وعلاقتها التجارية القوية مع أوروبا أصبحت الجزائر مقصدا للتجار من الأقطار المختلفة ومنهم تجار المغرب الأقصى للتزود والبحث عن السلع كما لعبت مدينة تطوان دورا لشمال في الجهة الأخرى، حيث كانت مقصدا دائما للبحارة الجزائريين للتزود وتصريف تجارتهم، وقد بدأ هذا الدور والعلاقة منذ عهد خير الدين الذي كان يتردد على الميناء وتواصل في عهد حاكمة المدينة السيدة الحرة.

- استمرت القوافل التجارية في التنقل بين البلدين وعاد الهدوء للعلاقات استمرت القوافل التجارية في التنقل بين البلدين، لتصريف سلع القطرين والسلع القادمة من السودان والمشرق بعد توقيع اتفاقية وادي ملوية كحد فاصل بين القطرين، لأن العلاقات الاقتصادية عاملا حتميا بين الدول، بسبب حاجة السكان للحاجيات الضرورية في الطعام واللباس.

الفهرس:

7	مقدمة:
9	1-المحاضرة الأولى: سقوط غرناطة وانعكاساته على البلدان المغاربية:
11	1-1-الأسباب السياسية والاقتصادية:
12	2-الأسباب الدينية:
13	3- الأسباب العسكرية:
14	2-المحاضرة الثانية: أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م.
14	1-احتلال المرسى الكبير:
15	2-احتلال مدينة وهران 1509م.عين على رأس الحملة.
15	3-احتلال مدينة بجاية وإقامة حصن البينيون مقابل مدينة الجزائر 1510م.
18	3-المحاضرة الثالثة: -المد العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط.
21	4- المحاضرة الرابعة: -تطور نظام الحكم في الجزائر خلال الفترة العثمانية:
21	1- <u>الديوان</u> وهيئاته وموظفوه:(الديوان أو مجلس الحكومة).
22	2-الديوان الكبير(الديوان العام):
23	3/آغا المحلة:
23	4/خوجة الخيل:
24	فترة البلديات 1518-1589م:
25	1-دور البلديات في المجال الداخلي:
27	2- فيالبلديات المجال الخارجي:
29	*التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني
34	3-عهدالآغاوات: 1659-1671:

37	4*- عهد الدايات (1671-1830):
40	المحاضرة الخامسة: -تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعديين والعلويين:
40	1/الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى:
43	ثانيا: الدولة السعدية وعهد الاستقرار والازدهار:
45	3- العلاقات الجزائرية مع المملكة السعدية:
48	الخلاصة:
49	العلاقات السياسية بين الجزائر خلال عهد الأسرة العلوية:
49	1*- غزو مولاي إسماعيل للصحراء الجزائرية 1676م:
50	*2-تحالف المولى إسماعيل وبابي تونس ضد الجزائر 1694م:
50	3*-حملة المولى إسماعيل على وهران سنة 1701م:
52	6- المحاضرة: السادسة:-تطور نظام الحكم في تونس:
58	7- المحاضرة: السابعة : تطور نظام الحكم في طرابلس:
62	8-المحاضرة الثامنة:-علاقات الأقطار المغاربية الخارجية:
62	1-المشرق العربي.- وأفريقيا:
65	-العلاقات الاقتصادية بين إيالة الجزائر وليبيا:
67	خلاصة:
68	9- المحاضرة التاسعة -الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلدان المغرب الحديث:
68	أولا:-/ الحياة الاجتماعية:
69	ثانيا: -طائفة البرانية:
70	ثالثا: -طائفة الدخلاء:
70	رابعا: -طائفة اليهود:

75		ثالثا: الوضع الاجتماعي في تونس على عهد الحسيني:
78		العوامل المؤثرة في العلاقات الاقتصادية بين البلدين *
79		-الفلاحة في الجزائر:
85		-الموارد المالية في عهد العثماني:
89		-النشاط التجاري
90		النظام الاقتصادي في تونس على العهد الحسيني
90		إصلاحات حمودة باشا الزراعية:
92		مظاهر العلاقة الاقتصادية بين الجزائر والمغرب في العهد:
96		*الخلاصة:
98		الفهرس: